

الفلسفة اللغوية

والالفاظ العربية

تتضمن الادلة اللغوية التحليلية على ان اللغة العربية مؤلفة
في الاصل من اصول قليلة ثنائية احادية المقطع معظمها مأخوذ
عن محاكاة الاصوات الخارجية والاصوات
الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيا

لمؤلفها

عمرجي زيدان

منشأة الهلال

مقدمة الطبعة الاولى

باسم الله مفرق اللغات

هذه عجالة أرفعها الى أهل النظر والتحقيق لينظروا فيها فان أعجبهم مثلها تقدمت اليهم ان يزيدونا من مثلها ما نعلم به الفائدة وتشجده له الاذهان فاني عالم ان الموضوع رحب لا يتكفل باستيفائه الا المجلدات الضخمة واعلم أيضاً ان في السويداء رجالاً لهم من العلم وسعة الاطلاع في اللغة وغيرها مما يوهلهم لبسط الكلام في هذا الموضوع باكثر مما بسطت والابضاع فيه باكثر مما أبضعت وربما كان ما استوقعهم الى الآن عن البحث من هاته الوجهة التي بحثت فيها ليس الا خوف ان لا يجردوا من القراء من يقدر لهم موضوع ابحاثهم حق قدره ويقبل عليه بما هو اهل له من الامعان والتروي . وربما كان لحوفهم هذا مسوغ يقضي عليهم معه بالتوقف اذا نظروا الى عائدته المادية ازاء ما يضحون من الوقت اثناء الكتابة والتأليف . الا ان أمثال هؤلاء الافاضل قد لا يعبأون بما يعود عليهم من الفوائد المالية وذلك حباً بالعلم وتنويراً للاذهان ويجتزئون من كل ذلك بما يكون من الفائدة الادبية لعموم افراد الهيئة التي هم ينتمون . وهم في الغالب يدركون كلا الغاييتين ولا تفوتهم احدى الفائدةين اذا مر عليهم من الزمن ما تنبه لهم في اثنا اذهان القراء من مواطنهم او خلافهم . وعليه أعود فانقدم اليهم ان يزيدونا في هذا الموضوع زادهم الحق علماً وخيراً وان يواخذوني بما وقع مني من الخطاء فيصلحوه وينتقدوا علي حيث يجدون محلاً للانتقاد حباً ببيان الحقيقة واكون لهم من الشاكرين ولا يزعم بي اني أقول ما أقول ايهاً وتقويهاً فمعاذ الله الا ان أشكر لاهل فضل وعلم همهم كشف الحقائق واجلاؤها حق الجلاء من أين أتت . وأحسب لهم علي في ذلك منة يكاد لا يستطيع ايقاؤها لاني عالم بقصور باعي وامكان تطرق الخطا والخلل الى ما كتبت او ذهبت اليه وان كنت لا أرى

جعل ذلك الان . هذا ولا أنكر اني كتبت ما كتبت على غاية من السرعة فلم
أتمكن من الوقت الكافي لمزيد النظر والتأمل في مراجعة ما كتبت ونصفينه من
شوائب الغفلة والنقصان فربما غفلت في مواضع عن ذكر ما كان بهم او يجب ذكره
وذكرت في أخرى ما كان جديراً ان لا يذكر او لا يدخل له بالموضوع . واكثر
من ذلك اني تارك الكتاب وهو لم ينجز عن آخره ووكلت الى أحد الخلان مراقبة
نجاز الطبع الاخير والتجليد والنوزيع وكل ذلك لما تدعوني اليه الدواعي من
مزيد السرعة (لاني على سفارحلة بعيدة الشقة) وفي جميع هذا ما يوجب لي
بعض العذر لدى اهل الفضل المحققين الذين رغبت اليهم في المواءمة والانتقاد
تجلية للحقيقة وتحميها لها

وهنا اسأل فضل القراء ان يرمقوا سطيراتي هذه بعين القبول ويوجهوا اليها
وجه المقبل - لا أقول ذلك حباً برواج البضاعة غابة الربح انما حباً مني باطلاعهم
على هذه الملاحظات فينظروا لأخذي الذي أخذت به في اللغة فاعلم ان كنت
أصبت أم أخطأت او كان كلا الاصابة والخطأ معاً مع بيان مواقع كل منهما .
وأتوسل الى الحق ان ترجح مواقع الاصابة على مواقع الخطأ وان يفيد الكتاب
بعض الافادة أقله في توجيه الانظار الى هذه المباحث من الجهة التي اخذت بها
وهو حسبي واليه أنيب

بيروت في ١٥ يوليو سنة ١٨٨٦



مقدمة الطبعة الثانية

لم يخطر لنا يوم نشرنا الطبعة الاولى من هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٦ أنه سيأتي يوم نعيد طبعه فيه لان موضوعه فلسفي جديد لا يرتاح اليه الا فئة قليلة من خاصة الادباء وذوي الاطلاع ممن يلتذون بالابحاث العقلية الفلسفية وهم قليلون في كل زمان ومكان وخصوصاً في بلادنا لقرب عهدنا من العلم والادب فكيف بالابحاث الفلسفية اللغوية وهي جديدة حتى في لغات الافرنج - فنقاد الطبعة الاولى من هذا الكتاب يدلُّ على تكاثر الخاصة من أهل هذا اللسان . أما ادباء الاسنة الاخرى فانهم احلوا هذا الكتاب محل القبول منذ أول ظهوره وكنا قد بعثنا منه أمثلة الى بعض جمعيات المستشرقين في اوربا فجاءتنا كتبهم وملأوها التنشيط والاستحسان وانخبتنا « الجمعية الاسيوية الايطالية » يومئذ (سنة ١٨٨٧) عضواً عاملاً فيها من أجل هذا الكتاب - اذ لم يكن لنا مؤلفٌ سواه - وعينت مجلة « مكتب » العلة التي تصدر في الاستانة بنقله الى اللغة التركية ونشرته تباعاً في اعدادها لسنة ١٨٩٣ وما بعدها على ان تبثرة بعد ذلك في كتاب على حدة

وموضوع هذا الكتاب البحث التحليلي في كيف نشأت اللغة العربية وتكونت باعتبار انها اكتسابية خاضعة لاموس الارتقاء العام . ومدار البحث على خمس قضايا ونتيجة وهي :

القضية الاولى . ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد
القضية الثانية . ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها (كحروف الجر

واللطف واحرف الزيادة ونحوها) انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها
القضية الثالثة . ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها
بالاستقراء الى اصول ثنائية احادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية

القضية الرابعة . ان جميع الالفاظ المطلقة كالضمائر وأسماء الاشارة ونحوها قابلة
الرد بالاستقراء الى لفظ واحد أو بضعة الفاظ

القضية الخامسة . ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع أصلاً
للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية

النتيجة . ان لغتنا مؤلفة أصلاً من اصول قليلة احادية المقطع معظمها
مأخوذ من محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق
بها الانسان غريزياً

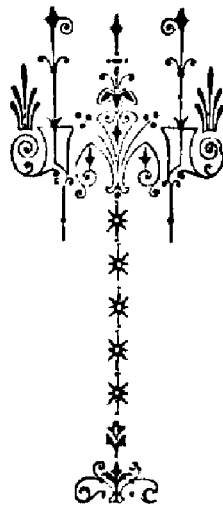
والكلام في ذلك كله مؤيد بالنواميس الطبيعية ويسند الى عوامل لا تزال
عاملة في لغتنا الى هذا اليوم

وقد ادخلنا في هذه الطبعة تحسينات ذات بال خطرت لنا بعد ظهور
الطبعة الاولى . واضفنا اليها فصولاً كاملة في أصل الكتابة والطريقة الطبيعية
لاختراعها وأصل الخطوط المعروفة الآن في اقطار العالم التمدن وفصلاً في كيف
نعلم الانسان العد وكيف توصل الى اختراع الارقام وأصل الارقام الهندية وكيف
تنوالت في العالم

والبحث في فلسفة اللغة لا يزال جديداً عندنا يحتاج الى تمحيص وانتقاد
فنقدم الى أرباب الاقلام ان ينتقدوه ونستلفت انتباه أئمة اللغة الى النظر فيه
والتوسع في موضوعه للانتفاع بنتائج اجاباتهم وثمار قرائحهم

وسنشفع هذا الكتاب بكتاب آخر في تاريخ اللغة العربية باعتبار انها كائن
حي نام خاضع لانماوس الارتقاء العام تنصر الكلام فيه على ما لحق اللغة من
التنوع والتفرع والنمو والارتقاء في الفاظها وتراكيبها بعد ان تم تكونها وصارت

ذات قواعد وروابط . ينطوى تحت ذلك النظر في ما دخل هذه اللغة من
 الالفاظ الاعجمية او التراكيب الغريبة على اختلاف العصور من الجاهلي فالاسلامي
 الى هذا اليوم ونأتي بأثلة مما دخلها او تولد فيها من الالفاظ الادارية والعلمية
 والفلسفية الطبية والدينية واللغوية على اختلاف ادوارها والله المستعان ان يجعل
 اقوالنا اقرب الى جانب الاصابة وهو حسبنا



فهرست الفصول

المقدمة	صفحة	القضية الرابعة	٦٥
اللغة وأقسام اللغات	١	اسم الاشارة واسم الموصول اصلها لنظ	
اصل اللغات	٧	واحد	٧٠
ما هي اللغة العربية	١٥	القضية الخامسة	٧٢
كم هي العلوم اللغوية	١٧	النتيجة	٧٥
موضوع هذا الكتاب	١٩	هل اللغة توفيقية او اصطلاحية	٧٦
القضية الأولى	٢٠	الطريقة الطبيعية للتكلم	٧٧
القلب	٢٠	الدور التقليدي	٧٨
الابدال	٢١	التفاهم بالإشارات	٧٩
القضية الثانية	٢٥	التفاهم بالاصوات	٨٢
التحت	٢٩	الدور النطقي	٨٥
اشتقاقات وتصاريح جديدة	٤٢	الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة	١٠٠
مزيادات الافعال وتصاريحها	٤٥	تاريخ الافلام التي استعملها الناس	١٠٣
تصاريح الاسماء	٥٠	كيف تعلم الانسان العد واخترع	
القضية الثالثة	٥٤	الارقام	١١٢
كيف ترد الالفاظ الى اصول ثنائية	٥٦		
		نم الفهرست	



اللغة

اللغة اصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وقد تعددت أنواع الاصوات وطرق التعبير بتعدد الامم واختلاف أصواتها فنشأ عن ذلك لغاتٌ تفوق الآلاف عدداً متفاوتةً بياناً ومتباينةً دلالةً ولفظاً فإن من الاصوات ما هو عاديٌّ عند هذه الامة وشاقٌ التلفظ به عند تلك مما يلاحظه كلٌّ منا في من حاول دراسة اللغة العربية من أبناء المغرب فقد قلَّ بينهم من استطاع بعد العناية الشديدة لفظ الحاء او العين او الغين او الضاد او ما شاكل وكثيراً ما يعاني احدنا في لفظ Γ او X اليونانيين او V او P الرومانيين . ومن القبائل القاطنة اواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية « ف ب م و ... » في لغتهم وبعض هنود كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع « ب ف ج د ب و » واكثر أهالي استراليا لا يستعملون المقاطع الصفيرية « س ز ش ث ص ظ » والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف « ب س د ف ح ج ل ق ص وي » واللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » خاليةٌ من هذه المقاطع « ب ج د ز ظ ض » وجملة القول ان هذه الاختلافات آثارٌ تشير الى ما هي عليه اللغة من التعرض للمؤثرات الخارجية التي طالما غيرت ولم تنزل تغير في سائر احوالنا عملاً بـ «اموس الارتقاء العام . وهذا التباين اللفظي يشاهد بين افراد الامة الواحدة المتكلمين بلغة واحدة لعل طبعية في أعضاء النطق

فيظهر مما تقدم ان الاحرف « ت م ن ه » مما يسهل لفظه على كل اطاق بدليل وجودها في جميع اللغات على اختلاف انواعها (الا الهاء في اليونانية) . على ان النظر في طريقة التلفظ بها يبين كونها طبيعية فان الهاء لا تكلف في لفظها

مطلقاً لأنها تحدث بواسطة الزفير الاعتيادي والغم مفتوح . والتاء بايقاف الزفير بالصاق اللسان بما وراء القواطع . اما الميم فبإخراج الصوت من الانف والغم مجوف والشفتان مطبقتان . والتون تلفظ كليم بالصاق اللسان بسقف الحلق وفتح الغم اما التفاوت الحاصل في دلالة هذه الاصوات ومركباتها فقد نشأ عنه تكاثر اللغات وتعدد اللهجات فحسبوا منها لا فاقاً ولم ينتهوا الى جميعها غير ان فيلولوجي هذا العصر قسموها باعتبار درجات تهذيبها الى (مرتقية) و (غير مرتقية) وهذه الاخيرة تتضمن ادنى اللغات بياناً وأبسطها الفاظاً منها اللغات الزنجية التي يتفاهم بها قاطنو جنوبي افريقيا . والاميركانية التي يتكلم بها هنود اميركا . والشمالية الشرقية الاسيوية وهي لغات القاطنين في جزيرة سغاليين وشبه جزيرة كشتكا وما جاورهما . والصينية وهي لغات الصين ومن أهم صفاتها ان الفاظها احادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف . فاللفظة الواحدة تكون فعلاً أو اسماً أو نعتاً باضافة الفاظ أخرى ذات معان مستقلة اليها . والحامية ومنها المصرية القديمة والحبشية القديمة والبربرية . وقد عدّ بعض اللغويين المصرية من اللغات الشرقية لأنها تقرب منها في بعض احوالها وقال آخرون لا بل هي امها وقد دُعيت بالحامية لاعتقادهم ان المتكلمين بها من نسل حام بن نوح

اما المرتقية فتمتاز بسعة نطاقها واحتوائها على اكثر ما يحتاج اليه الانسان من انواع التعبير ومنها لغات العالم المتمدن . وتُقسم باعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق الى (متصرفة) و (غير متصرفة) وهذه الاخيرة تشتمل على اللغات الطورانية ومنها الفروع التركية ويتفاهم بها القاطنون بين اخر حدود النمسا الشرقية واسيا الصغرى فالتتر الى ما وراء اواسط اسيا وشمالاً الى الحدود الشمالية لسبيريا . ومنها أيضاً اللغات المنغولية والتتقاسية والاوغرافية

ومن أهم صفات اللغات المرتقية (غير المتصرفة) انها مؤلفة من أصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً وان الاشتقاق يقوم فيها بالحق ادوات لا معنى لها في نفسها في اخر تلك الاصول وهذه تبقى بدون تغيير . مثال ذلك انما

في التركية « ياز » وهو الاصل الدال على الكتابة فيضيفون منه فعلاً ماضياً بالحق « دي » في اخره فيقولون « ياز دي » كتب ثم اذا ارادوا الماضي السابق يضيفون « دي » اخرى فيقولون « ياز دي دي » اي كان قد كتب . واذا ارادوا الجمع اضافوا أداته « لز » فقالوا « ياز دي دي لر » كانوا قد كتبوا ثم اذا ارادوا النفي ادخلوا أداته بين الاصل وما أضيف اليه فقالوا « ياز دي دي لر » اي ما كانوا قد كتبوا . وهكذا بين طلب وتمن واستفهام بحيث تبلغ هذه الالحاقات العشرة عدداً مع بقاء الاصل الفعلي على بذاته في أول اللفظ

واللغات المتصرفه تمتاز بقبول أصولها التصريف الحقا وادراجاً وتقسيم الى طائفتين عظيمتين :

(١) الطائفة الاربية : او الهندية الاوربية وتدعى أيضاً « الياقية » نسبة الى يافث بن نوح وتقسم الى (جنوبية) وهي لغات جنوبي اسيا منها السنسكريتية وفروعها الهندية . والفارسية والافغانية والكردية والبخارية والارمنية والاسوتية . و (شمالية) ومنها لغات اوربا وتقسم هذه الى قلبية ومنها اللغات المستعملة في جزائر بريطانيا الا انكلترا . وايطالية ومنها اللاتينية وفروعها لغات فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال . وهيلينية ومنها اليوناني القديم والحديث . ووندية ومنها لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا . وتيوتونية وتضمن لغات انكلترا وجرمانيا وهولندا والدنمارك وايسلاندا

ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية انها مؤلفة من أصول قابلة التصريف ادراجاً وان الاشتقاق فيها يقوم باضافة ادوات معظمها ذات معنى في نفسها وهذه الادوات تلحق غالباً في آخر الاصل واحياناً في أوله مثال ذلك في الانكليزية « thank » شكر منها « thankful » متشكر او شكور او كثير الشكر ثم « unthankful » غير متشكر او غير شاكر ثم « unthankfulness » عدم تشكر او عدم شكر . ومثلها « capable » كافٍ او قادر و « incapable » غير

كافٍ او غير قادر « incapability » عدم كفاءة . وهكذا في سائر البصاريف
وعليه تجري سائر اللغات الآرية

(٢) الطائفة السامية : نسبةً الى سام بن نوح وإشارة الى كون القسم
الاعظم من المتكلمين بها هم من نسله وتتضمن ما يسمى أحياناً باللغات الشرقية .
وهي بوجود اللغة العربية بينها تمتد من أرقى اللغات بياناً وأوسعها نطاقاً وأغناها
الفاظاً وأدقها تعبيراً وتمتاز بكونها الحافظة لأقدم التواريخ اعني التوراة مكتوبةً
بالعبرانية . ومن المعلوم ان التمدد نشأ أولاً بين المتكلمين بها كالبابليين
والاشوريين والفينيقيين وغيرهم . وهي تقسم الى ثلاثة أقسام

(الاول) الآرامية : وفرعها السريانية والكلدانية . فالأرامية هي لغة بابل
القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشاً على بقايا بابل واشور بالاحرف الاسفينية والانبارية .
والكلدانية هي هذه بعد ان لعبت بها ايدي الزمن فغيرت بعض الفاظها . وقد كتب
بها بعض اسفار العهد القديم كسفر دانيال وغيره وقد دُعيت هناك بالأرامية نساهاً على
ما أرى لان بينها وبين الأرامية الأصلية فرقاً واضحاً لفظاً ومعنى . ولغة اشور بعد
عن هذه من لغة بابل . اما ما يُدعى بين السريانيين في هذه الايام باللغة
الكلدانية ليس الا السريانية نفسها مع بعض التغيير في الحركات . والسريانية
هي الكلدانية المشار اليها مع تغيير في الفاظها ودلالاتها تبعاً لما اقتضته الاحوال
فكان اللغة البابلية القديمة دُعيت في أول أمرها آرامية ثم تغيرت قليلاً فدُعيت
كلدانية ثم وقع فيها تغيير آخر فدُعيت سريانية وحصل في هذه بعض التنوع
في حركاتها فحسبت لغتين سريانية غربية وسريانية شرقية

وقد حفظت اللغة الأرامية الأصلية بعض التواريخ القديمة منقوشة على
بقايا بابل واشور . والسريانية حفظت الكتاب المقدس الذي تُرجم اليها في
الجيل الثاني بعد المسيح وتعرف هذه الترجمة بالترجمة البسيطة

(الثاني) العبرانية : قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت
الإشارة وبكون الناطقين بها هم أوضح الامم . واللغة التي يتكلم بها

الاسرائيليون اليوم ليست العبرانية صرفاً بل خالطها بعض الالفاظ الارامية او الكلدانية اثناء اسرهم عند البابليين . ومحورُ جميع ما ألف في هذه اللغة انما هو العهد القديم ويتفرع عنها الفينيقية والقرطاجنية وكلتاها مائتان

(الثالث) العربية : وهي اسمى اللغات السامية ومعرفتُها ضرورية لاثقان اخواتها . وقد كانت محصورة في شبه جزيرة العرب فلما ظهر الاسلام اخذت في الانتشار الى ان ملأت الخافقين بسبب الفتوح الاسلامية المشهورة فامتدت من الشرق الى الغرب بين أواسط الهند وبوغاز جبل طارق ومن الشمال الى الجنوب بين البحر الاسود وبحر العرب . وبالجملة يقال انها عمت معظم العالم المتمدن في ذلك الحين . والحروف العربية المستعملة عند الاعاجم منهم كالترك والفرس والهنود وغيرهم من جملة الاثار الشاهدة على ذلك . ويتفرع من العربية لغة الحبشة وفروع أخرى تعدّ مائة - ولا يخفى ان لغتنا لولا القرآن لتمددت فروعها قياساً على سواها

اما أصل كلمة « عرب » ففيه أقوال منها انها « عبر » بعد القلب وقال آخرون بل هي مأخوذة من « عَرَبَ » أي فصح اعتماداً على ان العربية من أفصح اللغات وزعموا من سلفائنا بأن الذين لا يتكلمون بها عجم . وقد ذهب بعضهم الى انها مأخوذة من لفظة « يَعَرِب » التي هي اسم لاول من نطق بالعربية على ما يزعمون . ومن رأي استاذنا المرحوم الدكتور فأنديك من هذا القبيل قوله : « بينما كان الساميون ساكنين في الاراضي السهلة المخصبة حول راس « خليج العرب وفي ما سمي بعد حين العراق العربي اتاهم قوم كوشيون عن « طريق ميرا وحضرموت والحسا فطرد الكوشيون الساميين فتنزح بعضهم نحو « عيلام أي بلاد فارس وقوم صعدوا شمالاً على شطوط الفرات وهم التارحيون « اسلاف ابراهيم وقوم ذهبوا غرباً نحو ما سمي بعد حين جزيرة العرب « وسموا عرباً من « عَرَب » أي ارض الظلام أو الغروب والعبرانيون « لا يميزون بالصورة بين العين والغين ومن هذه اللفظة أيضاً اوروبا « Europa »

« عروبا (اوروبا) انظر مصنفات روائسن وماكس مولز وقاموس فورست »
 « ومنهم من قال بل التسمية من « عرب » في العبرانية خلط و مزج لكونهم »
 « شعباً مخلوطاً ممزوجاً من نسل قحطان واسماعيل ومسديان ومواب وعمون »
 « وعملاق وربما اخنطوا بالكوشيين في الجنوب والله أعلم »

وأوضح صفات اللغات السامية انها مؤلفة من أصول ثلاثية الاحرف ثابتة في الاشتقاق أي انه لا يؤثر على أحرفها بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة مثاله في العربية « قتل » وهو أصل يتضمن معنى القتل فتغيير الحركات فيه تشتق عدة أفعال أو أسماء أو نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير فـ « قَتَلَ » فعلٌ ماضٍ معلوم و « قَتَلَ » فعلٌ ماضٍ مجهول و « قَتْلٌ » مصدر و « قَتْلٌ » بمعنى العدو والمقاتل و « قَتْلٌ » جمع قتل و قد تمتد إحدى هذه الحركات فيقال « قَاتِلٌ » و « قَاتِلٌ » و « قَاتِلٌ » و « قَتِيلٌ » و « قَتُولٌ » و « قِتَالٌ » و « قَتَالٌ » و « قَتَلِي » الخ . اما قابليتها للاشتقاق على طريق الالحاق فتشارك الطائفة الآرية فيها لكنها تمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وبأنها لا تقبل الادوات الملحقة اذا كانت ذات معنى في نفسها .

على ان هذا التقسيم لا يدل بنفسه على وحدة أصل تلك اللغات دلالة صريحة نظراً لما طرأ عليها من التغيير بعد تفرعها ولكن الاستقراء والمقابلة يوضحان ذلك فان لغات الطائفة السامية ترجع الى ثلاثة أصول الآرامية والعبرانية والعربية وهذه لاشبهة بأنها ترجع كلها الى أصل واحد يسميه علماء اللغات اللغة السامية ونظائره اللغة الاشورية او البابلية . والطائفة الآرية ترجع الى ثلاثة أصول أيضاً وهي اللغتان اللاتينية واليونانية واللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) فمن اللاتينية تفرع معظم لغات أوروبا ومن اليونانية تفرع بعض آخر وتفرع ما بقي من السنسكريتية . وترجع هذه اللغات الثلاث الى أصل واحد أو هي لغة واحدة مفقودة يسمونها اللغة الآرية

ونشترك هاتان الطائفتان كما قدمنا بقابلية الفاظهما للتصريف الحاقاً وادراجاً ونشارك اللغات غير المنصرفه بارتقائها ووجود الادوات والاشتقاق فيها . وأما اللغات غير المرتقية فالبعد بينها وبين اللغات المرتقية اكثر من ذلك كثيراً على ان البحث والمقابلة يبينان القرابة بينها كلها وتمهيداً لذلك نقول :



أصل اللغات

المراد بتقسيم اللغات على هذه الصورة انما هو تقسيم الامم التي نكلم بها فالمراد بقولنا انما تنقسم الى الطورانية والاربية والسامية ان الامم التي نكلم اللغات الطورانية الان ترجع الى اصل واحد وان الامم التي نكلم اللغات الاربية ترجع الى أصل واحد وهكذا الطوائف الاخرى . فالامم التي نكلم اللغات الاربية ترجع الى أصل واحد وهكذا الطوائف الاخرى . فالامم التي نكلم اللغات الآرية مثلاً بعضها في اوروبا وبعضها في الهند والفرس . فهما تباعدت المسافة بينها واختلفت عوائدها واخلاقها اليوم فلا ريب انما كانت في أقدم أزمنة التاريخ أمة واحدة او عائلة واحدة عائشة في بقعة واحدة ثم قضت الاحوال بتفرقها فانقسمت قسمين قسماً جنوبياً وقسماً شمالياً فسكن الجنوبي أواسط اسيا والشمالى نزح الى اوروبا ثم انقسم كل من هذين القسمين الى أقسام بعد ازمان متفاوتة . وهكذا أيضاً اللغات السامية فقد كان أهلها في أوّل ازمانهم يقطنون ما بين النهرين وهم الاشوريون أو اجدادهم وكانوا ينكلمون لغة واحدة أهلها الاشورية ثم قضت الاحوال فهاجر بعضهم اما التماساً للرزق او فراراً من الحرب الى جزيرة العرب وأقاموا فيها وبتوالي الازمان تنوعت لغتهم الاصلية تبعاً لناموس الارتقاء فتولدت اللغة العربية والامة العربية ثم هاجرت طائفة أخرى وأقامت في شمالي جزيرة العرب وتنوعت لغتها حتى صارت مستقلة وعرفت باللغة العبرانية ولعل ابراهيم الخليل أول المهاجرين . تلك الفروع وفي اثناء تنوع كانت الامم

الاصلية بين النهرين تنوع أيضاً لانها كلها خاضعة لتاموس واحد . وقس على ذلك فروع كل من هذه اللغات فان العبرانية بعد ان صارت مستقلة وأقدمها لغة فينيقية نزحت فئة من أهلها غرباً وأقاموا في قرطجنة فنوعت لغتهم حتى استقلت وعرفت باللغة القرطجنية وهكذا يقال في سائر التفرعات . فاللغة القرطجنية أقرب بالفاظها وأنواع تركيبها الى أختها الفينيقية مما الى خالتها العربية او الى جدتها الاشورية ولكنها أقرب الى هذه مما الى اللغات الآرية على انها أقرب الى الآرية مما الى الطورانية وهي أقرب الى هذه مما الى اللغات الصينية فافرق يزد كلما بعدت المسافة بين الامة وزمن تفرعها عن أمها

ثم اذا اعتبرنا مراتب اللغة في نموها وقابلنا حال اللغات الحالية بها لتضح لنا كيفية تفرع اللغات وأزمة تفرعها

المشهور ان الانسان نشأ الاول على ضفاف الفرات ودجلة بين العراق وأرمينيا فنا وتكاثر ومن نسله تفرقت الامم في الارض ولكنها لم تفرق دفعة واحدة بل كانت كلما ضاقت تلك البقعة عن القيام بمعايشهم هاجرت فئة منهم الى جهة من الجهات . وقد ذكرت التوراة اكبر مهاجرة نشأ عنها تعدد اللغات سميتها حكاية تبلبل الاسنة وذكرت في مكان آخر تفرق الامم في الارض ولكنها لم تذكر الا الامم التي تشعبت من نسل نوح فقط بعد الطوفان وأغضت عن الامم التي نشأت قبل زمن الطوفان فأين نسل قايين وفروعه وأين الامم الاخرى التي كانت قبل الطوفان غير الذين كانوا بين النهرين وأغرقهم الطوفان فلا ريب ان المدة بين وجود الانسان الاول والطوفان كانت طويلة نشأ في أثنائها امم كثيرة تشعبت وتفرعت وهاجرت فعمرت قسماً كبيراً من الارض

فالظاهر ان المتكلمين باللغات غير المرتقية أقدم من نزح من بين النهرين كالصينيين والمصريين الاصليين فسارت فرقة شرقاً والاخرى غرباً . والتاريخ يساعدنا في تأييد ذلك لان هاتين الامةين من أقدم أمم الارض ان لم تكونا أقدمها كلها ولغاتهما أبسط اللغات لانها تفرعنا قبل زمن الطوفان واللغة لا تزال

في أول أدوارها أي قبل تولد الادوات وحصول التمييز بين الفعل والاسم والحرف وربما كان الصينيون من نسل قايين والتوراة تصف نسل قايين بالمهارة في الصناعة والموسيقى والصينيون أقدم ارباب الصنائع على اختلاف أجناسها وأمر الناس في اتقانها

ونرى بين لفظي (صين) و (قايين) مشابهة حتى يصح القول انها واحد لان القاف والصاد كثيراً ما يتبادلان والحرف (G) في اللغات الافرنجية ينطق تارة قافاً (او كافاً) وطوراً صاداً (او سيناً) ومثل ذلك اختلاف لفظ الجيم العربية بين مصر والشام ولفظ الكاف بين بعض قبائل العرب فان بعضهم يلفظها كافاً وبعضهم سيناً وبعضهم سيناً . وترى أيضاً مشابهة بين لفظ قايين واسم مصر فقد كان اسمها (كيم) او (كيمي) والمبادلة بين الميم والنون مشهورة ولا عبرة بافترقاؤهما حيث لا يجعل التكلم عليه وانما جاز منه ان الهم التي لتكلم اللغات غير المترقية عمرت الارض قبل زمن الطوفان . ثم هاجر أبناؤهم لأم التي لتكلم اللغات التطورانية فسكنوا شمالي آسيا ومنهم المغول والتتر وغيرها . ثم نزح الآريون فاقاموا زمناً معاً ثم تفرقوا في جهات الهند وفارس وكردستان وأوربا . ثم الساميون وما تفرع عنهم كما قدمنا . وكانت اللغة اذا انفصلت عن أمها أخذت تنمو بنفسها وأما تنمو أيضاً وتسير كل منها تبعاً لاحوال المتكلمين بها وبشأنهم فلا يمضي زمن حتى تبعد كل منهما عن الاخرى ولكن المقابلة والتدقيق بينان ما بين هذه اللغات المتباعدة من المشابهة الدالة على وحدة أصلها . وتفاوت هذه المشابهة بين اللغات بتفاوت أزمان انفصالها بعضها عن بعض فان المشابهة بين الفاظ العربية والعبرانية وطرق التعبير والاشتقاق فيها ظاهرة جلية وهكذا بين اللغات الاوربية المتفرعة عن اللاتينية لأن كلاً من هذه اللغات تفرعت عن أمها بعد ان نمت فيها أنواع التعبير والاشتقاق فبقيت المشابهة ظاهرة فيها . وأما المشابهة بين العربية واللاتينية فابعد لانهما افترقتا قبل تمام ذلك النمو ونمت كل منهما على حدة وعلى أسلوب مخالف لاسلوب الاخرى فبعدت الشبهة ولهذا السبب

أيضاً كانت المشابهة بين العربية والصينية أبعد من ذلك كثيراً لان الصينيين انفصلوا عن الامة الاصلية قبل الساميين بدهور متطاولة واللغة في أبسط أحوالها على اتنا مع كل ذلك لانحرم دليلاً على المشابهة من بعض الوجوه اذا التمسناها من حيث نرجو العثور عليها اذ لا يليق بنا ان نبحت عن المشابهة في صيغ اشتقاق الفعل بين اللغات الارية والسامية ولا تركيب الجمل بين اللغة الصينية والعربية بل نبحت عن أقدم مواد اللغة في كل من أصول هذه اللغات وننظر في أوجه المشابهة بينها والغالب ان نعثر على ضالتنا

فمن أقدم الفاظ اللغة الضمائر والاعداد وأسماء ضروريات الحياة كالطعام والشراب والمأوى والملبس وما يتعلق بذلك :

(١) الضمائر

فالضمائر ترجع الى ثلاثة المتكلم والمخاطب والغائب وكل من هذه يتصرف مع علامات الجمع والتأنيث وغيرها فاذا جردناها من تلك العلامات ومن النون التي تلحق بها في بعض اللغات ظهرت المشابهة بينها كلها . فضمير المتكلم مقطع حلقى محصور بين الياء والكاف فهو في العربية الياء أو الحاء وتظهر في الجمع (نحن) وكذلك في السريانية و « انكي » تلفظ « انوخي » في العبرانية و 'anok' أو 'a' في المصرية القديمة و (أنكو) أو (يا) أو (أ) في الاشورية و 'ego' في اللاتينية و ego أو 'egon' في اليونانية و 'aha' أو 'ahom' في السنسكريتية و 'i' في الانكليزية و 'ich' في الجرمانية و nga او ga او a في الصينية و na في المغولية أما ضمير المخاطب اذا تجرد من مميزات الجنس والعدد فهو حرف التاء في سائر اللغات ففي العربية واخواتها التاء في انت وفي اللاتينية tu وفي اليونانية su (والتاء والسين ثبادلان) . وفي الفرنسية 'tu' واخواتها وفي الانكليزية 'thou' وفي الجرمانية 'tu' أو 'du' وفي السنسكريتية 'tua' وفي الفارسية (تو) . ومثل ذلك في ما بقى من اللغات الشرقية والمصرية ففي الاشورية (أتا) وفي الكلدانية (انت) وفي المصرية القديمة 'entuk' وفي القبطية 'ntok' وفي الصينية two وفي المغولية

la . أما الغائب فالأصل فيه الهاء في اللغات الشرقية وما يقابلها في اللغات الأخرى في اليونانية i وما يركب منها في اللغات الجرمانية hua ومشتقاتها وفي الفارسية « وي » وفي الصينية soh والسين زائدة . . . يأتي تفصيل ذلك في باب الضمائر من هذا الكتاب

(٢) الأعداد

يظهر أن الأعداد أحدث عهداً في اللغة من الضمائر فالمشابهة بينها أبعد مما بين الضمائر

لفظ (واحد) يظهر أنه تولد في اللغات السامية بعد استقلالها عن الآرية أو لعله كان في الآرية ثم فقد الآثاراً منه باقية في اليونانية . فإن الأصل في لفظ واحد العربي (حد) كما هو في اللغات السامية الأخرى ومن تصاريف الواحد في اليونانية heis وعلى كل فإن اللفظ الدال على الواحد في اللغات الآرية يرجع إلى الواو والنون فهو في اللاتينية unus وفي اليونانية en ونحو ذلك في اللغات الآرية الأخرى . أما في اللغات الشرقية فبقى هذا اللفظ محفوظاً في (أول) العربية والأصل فيه الواو واللام (واللام والنون تنبادلان)

و (الاثنان) الأصل فيها التاء وما يبدل منها كالتاء والسين والدال فهي في اليونانية dio واللاتينية duo وفي الإنكليزية two ونحو ذلك في سائر اللغات الجرمانية أما الألف والنون في العربية فزائدتان علامة للتثنية

و (الثلاثة) الأصل فيها بالعربية (ثلث) وهي كذلك في سائر اللغات السامية ونحو ذلك في اللغات الآرية ففي اللاتينية tres وفي اليونانية treis والتبادل بين اللام والراء وبين السين والتاء كثير

و (الأربعة) يعسر الجمع فيها بين اللغات السامية والآرية وكذلك (الخمسة) أما (الستة) فالأصل فيها (ست) ففي العبرانية شش وفي اللاتينية sex وفي اليونانية ex وفي السنسكريتية شش وفي السلافونية شست والمشابهة واضحة

و (السبعة) أصلها سبع وهي في اللاتينية septem وفي اليونانية Epto وفي الفارسية (هفت) وفي السنسكريتية (سبتا) فالظاهر ان الاصل فيها (سب) والعين دخيلة في اللغات السامية والتاء دخيلة في اللغات الآرية

وأما ما وراء السبعة فلا سبيل الى تطبيقه فالظاهر ان الطائفتين الآرية والسامية انفصلتا قبل تولد ما بعد السبعة . وهناك أمم متوحشة لا تزال الى اليوم ليس في لغتها من الاعداد ما بعد الخمسة

وقد رأيت فيما تقدم ان الاعداد لم تتشابه الا بين الطائفتين الآرية والسامية لان اللغات غير المرتقية انفصلت عن أصلها قبل تولد الاعداد وبعبارة أخرى ان أجداد الصينيين والمغول نزحوا من بين النهرين قبل ان تتولد الاعداد في لغة أهلهم فتولدت الاعداد عندهم مستقلة فجاءت بعيدة عن تلك فالاثنان في الصينية (شونغ) والثلاثة (سام) والاربعة (سي) والخمسة (نجو) والستة (لوك) الخ

(٣) أسماء ضروريات الحياة

نريد بضروريات الحياة أقدم لوازم المعيشة فالانسان أول عهده بالتكلم وضع أسماء لما احتاج للدلالة عليه ليسد عوزهُ التماساً للبقاء وقد كان ذلك قبل تولد الضمائر والاعداد فيجب ان تكون المشابهة بينها في سائر اللغات ظاهرة ولكن لا ينبغي على المطالع اللبيب ان اللغة في نمو دائم فتتولد فيها الفاظ جديدة وتذثر الفاظ قديمة وان التغيير متواصل في الفاظها نحتاً وابدالاً وقليلاً . واكثر الالفاظ تداولاً على الالسنه أكثرها تعرضاً للتغيير وأسماء ضروريات الحياة أقدم الالفاظ وأكثرها تداولاً على الالسنه فلا ينتظر ان نرى أمثلة كثيرة من التشابهات ولا يتفق لنا ان نرى الفاظاً تتشابه في سائر اللغات المرتقية وغير المرتقية معاً فربما تشابه لفظ في الطائفتين السامية والآرية وآخر في احدهما والصينية وآخر فيها جميعاً . وهالك أمثلة مما يتشابه في كل اللغات او في بعضها

(١) الام : فان لفظها واحد في سائر لغات العالم لانه أول ما نطق به الانسان وأقدم ما تعلمه . فهو mater في اللاتينية و mitir في اليونانية و matri في السنسكريتية ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية والاصل فيها كلها الميم لانهم يدلون على الام أيضاً بقولهم mama وهكذا في اللغات الاخرى ففي العربية واخوانها (أم) وفي لغة تيبب بين الهند والصين (يم) وفي الصينية (مو) وفي القبطية (ماو)

(٢) الاب : فهو في اللغات الآرية pater وما يشبهها والاصل فيها الباء وفي اللغات السامية (أب) وفي الصينية (بو) او (فو) وفي التركية (بابا)

(٣) الاكل : في اليونانية Edein وفي اللاتينية Edere والاصل فيها Ed وفي السنسكريتية ad وفي المغولية (ايدهو) وفي الصينية (وت) او (ود) وفي العربية (قات) أو قوت وفي القاموس اطء الرجل جاع وطلب الطعام

(٤) العطاء : فهي في اللاتينية (do) ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية والاصل فيها الدال او التاء وفي العربية (أدّى) او اعطى والعين دخيله وفي المصرية القديمة (طا)

(٥) القطع : وهو متخلف عن (قط) حكاية صوت القطع وعام في سائر لغات العالم ففي اللاتينية coedo وفي الانكليزية cut وفي الفرنسية casser ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية . وفي الصينية (كت) وبالمصرية القديمة (خت) وفي العربية (قط) او قص او قطع . ومن هذا القبيل اكثر الافعال المتخلفة عن حكاية الاصوات الطبيعية مثل طفا ونفخ وغيرها كما سيأتي في الكلام على تولد اللغة

(٦) الكون : وهو الفعل الدال على الوجود في اللاتينية esse وفي السنسكريتية as ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية . وفي العبرانية (يش)

وفي السريانية (يت) وفي العربية (ايس) ولا توجد الا مركبة مع (لا) في (ليس) ومعناها نفي الوجود

(٧) الرجل : فهو في اللاتينية vir وفي اليونانية anir وفي الاسبانية hombre ونحو ذلك في معظم اللغات الآرية وفي العربية (مرة) وفي المغولية ere

(٨) حرف النفي : فانه واحد في سائر لغات الارض في اللغات السامية (لا) وفي الآرية (no) او أحد تنوعاتها وفي اللغات الطورانية (ال) او (نه) او (ما) وفي اليابانية (نا) وفي الصينية (مو) والنسبة اللفظية بين اللام والميم والنون معلومة

هذه أمثلة مما تشابه أصوله في معظم لغات العالم أما ما يشابه في بعضها فهو كثير لا يمكن استيفاءه هنا . من أمثلة ذلك تشابه (كهف) العربية و cavo اللاتينية . و (ارض اوثرى) و earth الانكليزية و terre الفرنسية و (اله) العربية و (لها) في لغة تيب و (المله) في العربية و (ما) في المصرية القديمة و (مو) في الصينية وقس على ذلك



ماهي اللغة العربية حقيقة

هي احدى اللغات السامية وأرقاها مبنى ومعنى واشتقاقاً وتركيباً ومن هي أرقى لغات العالم . فقد تقدم ان اللغات على اختلاف أنواعها تقسم الى مرتقية وغير مرتقية وان هذه تقسم الى متصرفة وغير متصرفة وان هذه تقسم الى ثلاث طوائف كبرى (١) الآرية (٢) الطورانية (٣) السامية وفيها اللغات العربية والسرانية والعبرانية والفينيقية والقرطاجية والاشورية والبابلية وغيرها . وأرقى اللغات السامية اللغة العربية

والمراد باللغات السامية اللغات التي تكلم بها نسل سام بن نوح وقد اختلف اللغويون في كينية تفرعها بعضها من بعض والظاهر ان اللغات السامية الرئيسية الحية الى الآن وهي السريانية والعبرانية والعربية لم تشتق احداها من الاخرى ولكنها فروع لاصل قد طوته يد الالام وهو لغة قدماء الساميين الذين سكنوا ما بين النهرين وقد دعاها علماء اللغة باللغة الارامية نسبة الى آرام احد ابناء سام وهي لغة سكان ما بين النهرين وربما كانوا المعبر عنهم في التوراة بسكان ارض شنعار الذين عمروا ما بين النهرين بعد الطوفان . والظاهر ان سكان ارض شنعار لما قضت الاحوال بتشتيت شملهم وتبعثرهم في جهات اسيا جعلت لغاتهم تنوع شيئاً فشيئاً بعد تشتتهم كل قوم حسب بيئاتهم وطرق معاشهم فسكن بعضهم سواحل سوريا وتنوعت لغتهم وعرفت باللغة الفينيقية ومنها اللغة العبرانية وسكن آخرون العراق العربي وحدث عن تنوع لغتهم اللغة الاشورية ومنها اللغة الكلدانية والسريانية وآخرون قطنوا شبه جزيرة العربية وتنوعت لغتهم وتولد عنها اللغة العربية بفروعها ومنها لغة الحبشة ولغة حمير وعدنان ومنها لغة قریش التي كُتب فيها القرآن وهي التي يكتب بها المتكلمون بالعربية الى هذه الغاية وتنوع اللغات السامية المتقدم ذكرها لم يتم دفعة واحدة بل كان تدريجاً على مقتضيات ناموس الارتقاء الجاري في الطبيعة . فقد بقيت تلك اللغات حية في

اول ازمان نشأت الشعب السامي زمناً غير قليل متشابهة تشابهاً كثيراً كما هو الحال في المتكلمين في اللغة العربية بعد انتشار الاسلام فان كلاً من الشعوب العربية الآن في مصر وسوريا وبلاد المغرب وغيرهم يتكلمون العربية ولكن كل شعب منهم يختلف لفته عن لغات الآخرين اختلافاً قليلاً او كثيراً بنسبة البعد بينهم والاختلاف في احوالهم ولولا القران لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الاخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنساوي والاسبانيولي والابيتالياني وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القران والرجوع اليها في ما يكتبونه ويخطبون فيه جعل في لغاتهم المولدة مرجعاً يجمع لغاتهم الى أصل واحد كما لا يخفى

أما في الازمان القابرة يوم نشأت نسل سام في الظلم فلم يكن عندهم لغة مدونة يرجعون اليها ولا كان بينهم رابطة يجمعون بها افكارهم في النهاية فكانت العوامل الطبيعية تؤثر في تنوع لغاتهم اكثر كثيراً مما تفعل اليوم فاعجبت على توالي الاجيال لغات مستقل بعضها عن بعض كل الاستقلال . على ان الباحث في أصول تلك اللغات لا يعدم وسائل في ردها كلها الى اصل واحد لتشابه أصولها وقواعدها فاللغة العربية والسريانية تشابه كثيراً في اشتقاقها وتصاريفها ومعاني الفاظها حتى لاتدع شبهة في وحدة أصلها

ويستجج مما نقرأه في أسفار العهد القديم ان تلك اللغات كانت كثيرة التشابه في الازمنة الاولى الى زمن خروج الاسرائيليين من مصر وما بعده فان الاسرائيليين قضوا أربعين سنة في برية سينا وجزيرة العرب وكانت لغتهم العبرانية ولكنهم عاشروا العرب وخالطوهم وكانوا يتفاهمون بلاترجمان . وهناك حوادث كثيرة ذكرتها التوراة تدل على تفاهم العرب والعبرانيين من جملة ما زيارة ملكة سبا وهي من ملوك العرب سليمان بن داود ملك اليهود في القرن العاشر قبل الميلاد أي بعد زمن موسى بخمسة قرون فانها زارت الملك سليمان وتفاهما بغير واسطة المترجمين . وكذلك نزوح اسمعيل وسكنائه في بلاد العرب

وقيامه بينهم وما شا كل ذلك وكها أدلة على ان فروع اللغات السامية كانت الى ذلك العهد متشابهة كل التشابه اذ لم يكن قد مر عليها الزمن الكافي لاستقلالها احداها عن الاخرى

أما بعد تلك الازمان فأخذ كل قسم منها يستقل بألفاظه وتراكيبه ويبعد عن الآخر حتى صار لغة مستقلة شأن كل شيء من أحوال هذه الكون

فاللغة العربية اذ هي احدى اللغات السامية المنفرعة عن اللغة السامية الاصلية المفقودة الآن ويسمى بعضها بعضهم اللغة الارامية كما قدمنا . وفي اعتقادنا ان لغة اشور وبابل التي قد عثروا على آثارها منقوشة بالاحرف الاسفندية او المسمارية في آثار مملكة اشور اقرب اللغات السامية الى اللغة الاصلية اذ لم تكن هي بقيتها ولعل مزاولة درس تلك الآثار على توالي الايام وتجديد النقب والبحث يؤيد هذا الاعتقاد

كم هي العلوم اللغوية

أما اللغات على العموم فعلومها درجات متنايات

(الاول) يبحث عن الفاظ اللغة من حيث بنائها ومشتقاتها وتركيبها وإعرابها وأوجه استعمالها حقيقة أو مجازاً المقاصد في التعبير . وهذا ما تعلمه المدارس في أيامنا كالصرف والنحو والمعاني والبيان مما هو ضروري لكل كاتب

(الثاني) يبحث عن تاريخ تلك الالفاظ وتنوعها ودلالاتها مع ما طرأ عليها من التغيير بتجرب بد بسيطها وحلّ مركبها وهذا ما ربحا صحت تسميته « علم اللغة او فلسفتها » وبوجه ترد الفاظ كل لغة الى أصول او موضوعات محصورة عدداً بسيطة بناءً

(الثالث) مقابلة هذه الاصول من لغات مختلفة وردّها الى أصول قليلة مشتركة وهذا ما يدعى بعلم « مقابلة اللغات » وقد تمكن علماءها بواسطته من

نقسمها الى صفوف ورتب وعائلات . وهم ينتظرون الظفر يردّ جميع ما ينطق به
البشر الى أصول قليلة
(الرابع) وهو اسمها يبحث عن كيفية توصل الانسان الى هذه الاصول
وكيف نطق بها أولاً

تمهيد

اللغة مؤلفة من الالفاظ والالفاظ تنقسم باعتبار الدلالة الى ذات دلالة مطلقة
وندعوها تساهلاً « الفاظاً مطلقة » وهي التي تصح الدلالة بوحدة منها على اي
موجود حسياً كان او معنوياً وتشتمل على الضمائر واسماء الاشارة واسم الموصول وما
شاكل . والى ذات دلالة مانعة وندعوها تساهلاً « الفاظاً مانعة » اي لا يمكن للدلالة
باحدها الا على قسم من الموجودات او على نوع واحد من المعنى . فبقولنا
« حيوان » مثلاً نقصد بعض الموجودات وهكذا لو قلنا « مادة » او « قوة » اذ
يخرج في الاولى جميع ظواهر القوة كالانفعالات والعقليات وفي الثانية نخرج المادة
وظواهرها . ولكن بقولنا « هذا » ربما نقصد الحيوان او المادة او القوة او الخبة
او الحزن او الفرح او ماشا كل . ونقول « أنت » لكل مخاطبه جماداً كان او
حياً حسياً او معنوياً وهكذا في البواقي . والالفاظ المانعة تنقسم الى « دالة على
معنى في نفسها » وتنحصر في الفعل والاسم ومشقاتهما و« دالة على معنى في
غيرها » وهي الحروف وما شابهها



موضوع هذا الكتاب

سنقتصر في هذا الكتاب على بعض الملاحظات التي تراءت لنا أثناء مطالعتنا
بعض العلوم اللغوية وهي تتعلق بالدرجة الثانية من العلوم اللغوية أي «فلسفة اللغة»
في العربية وربما أدخلنا بعض ما يتعلق بالدرجات الأخرى تعريضاً للبرهان
والموضوع يقوم بخمس قضايا ونتيجة والقضايا هي

(١) أن الألفاظ المقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد
(٢) أن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها إنما هي بقايا اللفظ ذات
معنى في نفسها

(٣) أن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء
إلى أصول ثنائية تحاكي أصواتاً طبيعية

(٤) أن جميع الألفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء إلى لفظ واحد أو
بضعة الألفاظ

(٥) أن ما يستعمل للدلالة المعنوية من الألفاظ وضع أصلاً للدلالة الحسية
ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية

(النتيجة) أن لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول محصورة عدداً أحادية المقطع
معظمها مأخوذة عن محاكاة الأصوات الخارجية وبعضها عن الأصوات الطبيعية
التي ينطق بها الإنسان غريزياً

فمن الواجب أولاً إثبات القضايا المذكورة وهي مقدمات خمس لعلمنا نستطيع
إثبات مادعونه نتيجة وبالله التوفيق

القضية الاولى

« ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد »

كثيراً ما أشار أئمة اللغة الى هذا النوع من الالفاظ وقد ارتأوا فيه مذاهب شتى لا حاجة لسردها في هذا المقام . اما الاستقراء والمقابلة فقد أثبتا ان هذا التقارب لم يكن عبثاً بل هو دلالة قوية على ان هذه الالفاظ ليست الا تنوعات أصل واحد وان هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمي الاعتبار هما القلب والابدال

(فالقلب) عبارة عن تقديم او تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه او تغييره تغيراً طفيفاً وهو أقل وروداً من الابدال . ومن أمثلته قولهم بمعنى واحد . أطم . ولطم . وذبح . وبذح . وبمزق . وزعق . والبهلق والباق (المرأة الحمراء جداً) . وجذب . وجذ . ورفأ وأرف . وتبرعص . وتبرص . بمعنى اضطرب . وعظط . وعلفط (خاط) . وملج . ولج . وبرشق اللحم وشبرقه وشربه . بمعنى قطعه . وسكب . وسبك . ويقال بشقت الارض وبشقت أي أمطرت قليلاً . وفقاه . يفقوه . بمعنى فقاه . يفقوه . وضب . وبض . بمعنى سال . وكذلك صب . وبص . وبضع . وعضب . وبعض جميعها بمعنى قطع . ويقال بضع أو بعض أيام والفرق بالمقدار فقط . والقبط . والقطب الجمع باليد . وقطب الوجه وقبطه بمعنى واحد . وبكع . وكبع . بمعنى قطع . ويقال نضب الماء ونبض غار . وامس . واسع . تدلان على نوع واحد من المعنى وهكذا في ما بقي . هذا ولا يخفى ان كثيراً من الالفاظ المقلوبة نخسر معناها الاصلية بالاستعمال فلا يعود يمكننا الجزم بأنها مقلوبة

أما سبب القلب فهو في الغالب الميل لتخفيف اللفظ أو للتغني فيه ويحدث في الغالب اعتباطاً . ومثل ذلك كثير الحدوث بين عامتنا فان معظمهم يقولون

« رعبون » في « رعبون » . و « اجر » في « رجل » . وبعض أبناء اللغة يقولون « أطي » بدلاً من « أعطى » . والسوريون ولا سيما البيروتيون يقولون « اجا » في « جاء » وكثيرون منهم لا يميزون بين « قعد » بمعنى جلس و « عقد » بمعنى ربط فيخلطون بينهما وقد قل بينهم من يلفظ كلمة « زَوْج » على حقها فان معظمهم يقول فيها « جوز » وهم يقولون « زَقَف » بمعنى « صفق » فوقع في هذه اللفظة القلب والابدال معاً

اما { الابدال } في الفاظ اللغة فاعظم أهمية لانه أوسع دائرة وأشد تأثيراً . وهو عبارة عن ابدال حرف من كلمة ما بحرف يترب منه أفظاً . ويحصل الابدال غالباً بين الحروف التي هي من مخرج واحد او مخارج متقاربة وتنقسم الحروف باعتبار مخارجها الى حلقية ولسانية حلقية ولسانية سنانية وسنانية او صفيرية وشفوية . والابدال يحصل بين أحرف كل مخرج وبين مخارج مختلفة الاقرب فالاقرب . وهاك ترتيب الحروف باعتبار قابليتها للابدال ع ه ي ح خ غ ق ك . ل ر ن . ض ط د ت . ج ش ث س ص ز ظ ذ . ف ب و م

وقد يقع الابدال بين الاحرف المتقاربة في حكاية أصواتها ولو كانت من مخارج متباعدة كالتبادل الحاصل كثيراً بين الميم والنون لان السامع قد يخلط بينهما والعامة قد أبدلت ميم الجمع نوناً وهذه أبدلت ميماً في أما كن كثيرة . ومن هذا النوع التقارب الحاصل في حكاية أصوات الفاء والخاء والثاء كقولهم ثلغ وثلغ بمعنى شق فان الاذن لا تكاد تفرق بين افظيهما وكذلك الخاء والحالة والحفلة (الردي من كل شيء) واغنثت الخيل واغنثت أصابت شيئاً من الربيع ومن هذا القبيل الاشتباه بالسمع بين صوتي الكاف والثاء كقول بعض العامة « ثان » في « كان »

أما الادلة على قابلية الحروف للابدال فكثيرة منها ما قد طرأ على اللغات السامية بعد تفرقها لانه من المقرر انها أي العربية والعبرانية والسنانية كانت

الغة واحدة نكلم بها أمة واحدة تحت لواء واحد وانها بعد ان قُدر للناطقين بها بالفراق أخذت تتنوع تبعاً لمتنضيات أحوال كل فريق منهم فوصلت الينا على ما نشاهدها . وهذا الاختلاف قد جرى على ناموس الابدال ويكاد يكون قياسياً بدليل ثبوت النسبة بين الاحرف المتبادلة . لان ما كان من الالفاظ من أصل واحد فيها جميعها نرى انه اذا كان احد مقاطع اللفظة العربية « ثاء » مثلاً يكون في مكانها في العبرانية « شين » وبالسريانية « تاء » نحو « وثب » العربية فانها في العبرانية « يشب » وفي السريانية « تبت » . و « ثدي » في العربية فانها « شدا » في العبرانية و « تدأ » في السريانية . واذا كان ذالاً في العربية كان زايّاً في العبرانية ودالاً في السريانية كذا « زكر » و « دكر » . والالف في العربية والسريانية هي هاء في العبرانية مطلقاً نحو « ما » الموصولة في الاولين فهي « مة » في الاخيرة . والسين العربية شين في اختيها نحو « سأل » فانها فيهما « شال » . والغين العربية عين فيهما فالعرب يقولون « غرب » والعبرانيون والسريانيون يقولون « عرب » بالعين والخاء العربية حاء فيهما فنحن نقول « خرب » وهم يقولون « حرب » وأمثال هذا التبادل كثيرة عادية وفي الغالب قياسية كما رأيت بحيث يكاد المتكلم باحداها يفهم الفاظ الاخرى فهما تماماً ولا يكون على شيء من امرها بشرط اطلاعه على ناموس هذا التغير . وفي العبرانية والسريانية ستة أحرف يستعمل كل منها لمقطعين من مخرج واحد وهي « ب » « ج » « د » « هـ » « ز » « ح » فالاول يلفظ كالباء العربية أو الفاء الفارسية V والثاني اما جيماً افرنجية قاسية كما في ga أو غيناً عربية . والثالث اما ذالاً عربية او ذالاً والرابع اما كافاً او خاء والخامس اما فاء عربية أو باء فارسية « پ » والسادس اما تاء أو ثاء . ويشاهد الابدال في اللغة الواحدة من هذه باختلاف ادوارها وأزمنتها من ذلك في العبرانية « زعق » و « شحق » كانتا تلفظان في أول أدوارها « صعق » و « صحق » ومن قواعد اللفظ في اللغة الاشورية ان الاحرف السنانية (س ص ش) متى

وقعت قبل أحد الاحرف اللسانية السنانة (ت د ط . . .) ثقلب لاما . وان
اللسانية السنانة متى وقعت قبل « س » ثقلب سيناً أو صاداً ولا فرق في هذه اللغة
بين الميم والواو لفظاً وحرف واحد يدل على كليهما

ومن الادلة على وقوع الابدال أيضاً ما نشاهده في العربية من الالفاظ
المقاربة لفظاً ومعنى وهي كثيرة نقصر على ذكر بعضها ليقاس عليها : منها قولهم
يَبْكُ وَيَبْشُكُ بمعنى قطعَ ولنا ثَنًا ونشأ بمعنى واحد وَبَرْتُكَ وَبَرَشْتُكَ بمعنى
بَرْتُكَ . ويقال ابشعرت الخيل وابشأرت وأبذعرت أي ركضت تبادر شيئاً تطلبه .
والجديس والضبيس بمعنى الجامد الثقيل الروح . وبذَّ وبزَّ نهب وبثَّ وبسَّ
فرَّق ويقال بلج الماء بمعنى برج . ونبج الكلب ونبح . ويقولون بمعنى السير
الشديد أميج وعمج . وهبج وهبش أي ضرب وكذلك خبق وحبق والحبقر
والعبقر بمعنى البرد (حب الغمام) والظاهر ان الأولى هي الاصل لانها مركبة من
حب وقر أي برد وكان يقصد بها « حب البرد » ثم أبدلت الحاء عيناً بالاستعمال
فصارت « عبقر » . والحس والحس والحس بمعنى واحد ومثله كسر وقصر .
ويرق وبلق بمعنى شق . ونحز ونحز ووكز بمعنى واحد . ويقال خب الرجل
وغب منع ماعنده وقد أتى بهذا المعنى أيضاً هفت وخفض وهبط وغط وغمض .
وضبع في المكان او قبع او وقع أقام ويقال غبن الثوب وخبه وكبته اذا عطفه
وخاطه . ونجس عينه ونجسها . والبسط كالسط في جميع معانيه . وبضع
من الليل بمعنى بضع . ويقال بزق وبسق وبصق بمعنى واحد . وأفלט على لغة
تميم كأفلات . وفلغ رأسه أو ثلغه بمعنى شدخه وهكذا أيد وأكد وقصم وقطم
وقضم وقشتم . وأسربل وأسغبل سوا في المعنى . وكذلك الرابة والغاية
والبلاغة والبراعة وغنى وقنى . وفي العربية من هذه الامثال ما يكاد لا يتم
تحت المحصر

فقد ثبت مما تقدم ان الابدال واقع . أما أسبابه فهي في الغالب نتيجة علة طبيعية
في أعضاء النطق في أول الامر ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات وربما خصصوا كل

تنوع لفظي بتنوع من المعنى الاصلي ويشبه ذلك ما حدث في اللغة العامة بمصر .
فانهم شقوا من لفظ « ثقیل » بالابدال ثلاثة الفاظ لكل منها معنى مستقل فاللفظة
الاصلية ثقیل بالاء ومعناها معلوم . فأبدلوا التاء سیناً فقالوا « سقیل » ومعناها
عندهم ثقیل الروح . وأبدلوها أيضاً تاءً وقال « ثقیل » ويريدون بها ثقیل
العقل أو الرزین . وقد حصل هذا التغير اعتباطاً . ويقال نحو ذلك في
« ثبات » فقد شقوا منها « سبات » بالسين بمعنى الصبر و « ثبات » بالباء
بمعنى البلادة وثقل الروح . يساعد على حفظ هذه التنوعات افتقار اللغة في اول
ادوارها للالفاظ ولانها لم تكن محدودة مدونة والابدال جارٍ في كل آن
وزمان فكم من الامم الذين لا يستطيعون لفظ الرائع كما نلفظها نحن فيلفظونها
قرية جداً من الغين . ومنهم القسم الاعظم من الفرنسيين والانكليز
وجميع قاطني الموصل وجوارها . ومن عامتنا من يلفظها لاماً وهم في الغالب
من الاحداث وكثيرون يستحيل عليهم التلفظ بالباء أو الظاء أو الذال
فيلفظونها تاءً أو سیناً وضاداً أو طاءً ودالاً اوزايماً . ويقول السوريون
في ظن « ضل » بلفظ الظاء ضاداً وبالعكس في ضبط فانهم يقولون فيها « ظبط »
وقد أبدلوا ميم الجمع نوناً فهم يقولون « لهن وعليهن » في لهم وعليهم و « بينهن »
في بينهم كما سبقت الاشارة . واهالي بيروت ودمشق لا يلفظون القاف الهمزة
مفخمة والمصريون أعرق في ذلك فيقولون « آل » في قال و « أميص »
في قميص . واغرب من ذلك استبدال بعض عامتنا الحاء بالباء فيقولون « صفت »
في « صفح » او الكاف همزة فيقولون « آل » في أكل و « آسة » في كاسة وبعضهم
يعكس الامر فيلفظ الهمزة كافاً كقولهم سكل في سأل

وطالما قيل لنا ان بعض سكان البادية يلفظون الكاف شيئاً فيقولون « بيتش »
في بينك وهذا ما يدعى اغويّاً بالكشكشة وبعضهم يقول « انطي » في أعطى أي
بابدال العين نوناً والباء لا يستطيعون لفظ الكاف الا تاءً فيقولون « تان »
في كان وهكذا في كثير مما لا يسعنا المقام استيفاءه

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات في اللغة قبل ان دؤنت اذ تكون أقدر على حفظها لماسبت الاشارة اليه . وانه نظراً لكثرة استعمالها اتخذها الجامعون الفاظاً أصلية وهم في افتقار اليها لانهم كانوا قد خصصوا كل لفظٍ حادث بمعنى حادث وان تكن جميع هذه التنوعات قابلة الرد بالاستقراء الى اصل واحد لفظاً ومعنى . أما بعد ان دؤنت اللغة وكثرت فيها التآيف ووضعت لها الروابط فقد قات قابليتها لحفظ هذه التنوعات مدونة فبقيت محصورة بين العامة

القضية الثمانية

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا

الفاظ ذات معنى في نفسها ^(١)

والدليل على ذلك اننا اذا استقرينا هذه الالفاظ في لغات كثيرة متفاوتة تهذيباً نرى انها تقرب من الدالة على معنى في نفسها بقدر ما تبعد عن الارتقاء والتهذيب حتى نصل أخيراً الى أدنى اللغات فنراها خالية من الادوات والحروف على الاطلاق ولكنها تستخدم بعض الافعال أو الاسماء لقضاء وظيفتها . وايضاحاً لهذه القضية اذكر بعض الامثلة متدرجاً من اللغات الدنيا الى اللغات الاجنبية المهذبة ثم اللغات الشرقية عموماً وأخيراً العربية خصوصاً

ان الصينيين كما سبقت الاشارة في غنى عن هذه الادوات فيستعيضون عنها بالافعال والاسماء . فيعبرون عن حرف الجر « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كوشنغ » ومقادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في »

(١) يشتمل هذا النوع من الالفاظ على الحروف وما يشبهها واحرف الزيادة الداخلة على الافعال والاسماء في الاشتقاق

المملكة» ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شارجن اِي تنغ » مفادها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني أواسط افريقيا قبائل تعرف بقبائل « مندنجو » اذا أرادوا تأدية معنى « على » قالوا « كنج » اي عنق او « في » قالوا « كُونو » اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا « في » . وأدوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شا كل في اللغات الصينية هي في الغالب افعال او اسماء ذات معانٍ مستقلة

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا أدوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص او ما شا كل والمشهور من هذا النوع البولينية والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز أصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا انزلت كما هو ظن البعض في لغتنا

وكان المصريون القدماء يعبرون عن « من » في قولنا « ساعة من ذهب » بلفظة « نسو » ومعناها الاصلي « لسان » ولا ندري أى العلاقة بين هذين المصنفين حتى استعملت لهما لفظة واحدة واعلمهم تصوروا في اللسان صفة الخروج فاستعملوه بمعنى « خرج من » اي « تكون من » وهو المقصود بقولنا « ساعة من ذهب » . وعندهم « خم » ومعناها حرفياً « غير عارف » ويستعملونها بمعنى « بدون »

والباحث في الطائفة الآرية يرى امثالاً لا تحصى جميعها تشهد بصدق قولنا وصحة قضيتنا . ويساعد على ذلك سهولة استقراء أدواتها لتوفر المواد اللازمة لذلك وهي اللغات القديمة أمهاتها منها اللاتينية والجرمانية القديمة واليونانية والسنسكريتية . واكاد لا أحتاج الى ذكر شي من هذا القبيل نظراً لاشتهار أمرها لكن لا بد لي من ايراد بعض الامثلة زيادة للايضاح

قلما يخطر المتكلمين بالانكليزية ان such مثلاً ومفادها « كذا » منحوتة من أصلين يقر بان من so-like ولولا وجود اللغة الانجلوسكسونية أم

الانكليزية لتعذر استقراؤها . فهي في تلك اللغة swyle وفي اختها الجرمانية solch وجميعها بمعنى واحد . وهكذا في which مفادها « أي » وهذه يمكن تتبعها على الطريقة عينها الى مايمائل who-like وهي في الانجلوسكسونية hwyle وهكذا الحال في if حرف شرط فانها 'ترد الى Gif في الانجلوسكسونية و Give في الانكليزية أي « اعطى » فكانهم يقصدون

بقولهم if you come ما هو في الاصل Give :that: you come ولكنثرة الاستعمال نحتت الى if واستغني عن that فبطل استعمالها فبقيت if حرفاً لا يعرف عنه الا كونه يستعمل للشرط . وهكذا لو بحثنا عن ly الاداة التي تلحق أواخر الاسماء فتحولها الى نعوت والنعوت فتجعلها ظروفًا نحو God الهه godly الهية و generous كريم generously كرمًا فقد استطيع تتبعها الى lic الانجلوسكسونية وهي في الانكليزية like اي « مثل » وفي الجرمانية lich وفي السويدية lig وفي الدتش lijk وجميعها بمعنى واحد فعملوا ان generously كرمًا أصلها generous-like; « مثل كريم » وهكذا فيما بقي

اما الالفات الشرقية فتتبع الفاظها أصعب من المتقدم ذكرها نظرًا لقلة المواد اللازمة لذلك كما هو معلوم . بيد اننا لا نعدم وسيلة في تقديم بعض الامثلة تقرباً من المقصود

يستعمل العبرانيون (عِم) والسريانيون حصر (عَم) لما هو في لغتنا « مع » حرف عطف واللفظة عينها في العبرانية وما يقاربها في السريانية تستعمل بمعنى شعب والعم الشرعي . فيستدل من كل ذلك ان الاصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها اسماً واداة عطف كما رأيت . ولا يخفى ان « مع » مقلوبة عن « عم » . وعند العبرانيين (مَدُوع) بمعنى « لما ذا » مركبة في الاصل

من **me** (مة) الموصولة و **me** (يدوع) علم . وهم يعبرون عن قوائنا « حسب » **be** (لبي) وهي مركبة من حرف الجر « ل » و **be** (في) فم . وعندهم بالمعنى عينه **be** (كبي) من كاف التشبيه و « في » المتقدم ذكرها . وكانوا يستعملون نحو الجيل الثاني عشر قبل المسيح **be** (أشرا . . .) مركبة من « **be** (أشرا) الذي ولام الاضافة بمعنى خاصة او ملك وبعد ذلك باجبال اخنصروا لفظها حتى صارت تلفظ وتكتب **be** (شل) بالمعنى عينه فلولم تحفظ لنا التوراة لغة ذلك العصر لما تيسر لنا تتبع « شل » الى « أشرا . . . »

والسريانيون يستعملون **be** (مكيل) بمعنى اذن وهي تحل الى **be** (من) حرف جرّ و **be** (كيل) مفادها « قياس الزمن » ولديهم **be** « هشا » بمعنى الآن مركبة من **be** (ها) للتنبيه والاشارة و **be** (شعا) ساعة . و **be** (أيكنا) كيف مركبة من « أي » الاستفهامية و **be** (كنا) وهذه أصلها **be** « كها » من كاف التشبيه و **be** (هنا) هذا او هذه تحل الى « ها » التنبيهية و **be** (نا) الاشارة بمعنى « ذا » فكان الاصل في « أيكنا » « أي كها » . وأغرب من ذلك انهم ركبوا من « هشا » المتقدم ذكرها و « عد » حتى و « ما » الموصولة ما مفاده « حتى الآن » لكنهم اختصروا في افظها حتى صارت **be** (عد مش) على ان الاصل فيها « عما ها شعا » فتأمل

والاشوريون كانوا يستعملون كلمة « قلب » لما هو في اعتنا « وسط » وكثيراً ما نسمع بعض العامة يقولون « في قلب البيت » ويقصدون في وسط البيت . ويستعمل المالطيون « تع » للاضافة كما يستعمل الفرنسيون **de** والانكليز **of** وعند البحث عن اصلها نرى انها بقية « متاع » التي لا تزال تستعمل بين عامتنا بمعنى خاصة او ملك . والمصريون اكثر استعمالاً لها وقد تصرفوا في افظها فقالوا فيها « بتاع »

فقد رأيت في ما تقدم ان اللفظة الواحدة تحل الى لفظين فاكثروا به بتركب لفظين فاكثروا يحصل لفظ جديد اقل احرفاً من مجموع احرفها وقد اشترت ان هذه الالفاظ تتحول الى لفظ واحد بالتحت وهالك بعض ما يتعلق به زيادة للايضاح فاقول

✽ التحت ✽

التحت ناموسٌ فاعل على الالفاظ وغاية ما يفعله فيها انما هو الاختصار في نطقها تسهيلاً للفظها واقتصاداً في الوقت بقدر الامكان . وهذا الناموس لم تنج من فئته لغة من لغات البشر ادناها واسماها بل قد جرى فيها على السواء من اول نشأتها ولم يزل حتى الآن وان يزال الى ما شاء الله . ولا يخفى انه مهما كان من عظيم أمره وكيفما تنوعت طرق عمله ليس الانسان في ذلك يد اختيارية فالتحت جارٍ في الالفاظ عن غير قصدٍ من الناطقين

وهو جارٍ في لغة عامتنا على كيفية ربما أفادت الاشارة اليها اذ منها يظهر مقدار ما لهذا الناموس من عظيم التأثير في الفاظ اللغة وتعلم انه ليس عليه من مستعظم فاقول

يستعمل الدمشقيون لفظة « شلون » بامالة الفتح نحو الضم بمعنى كيف للاستفهام . فلو فرضنا ان لغة عامتنا جمعت في هذه الايام بغية حفظها لغة كتابية وان أحد علماء اللغة في القرن القادم أو ما بعده قصد البحث في الفاظ اللغة بحثاً تحليلياً . فوصل الى هذه اللفظة ماذا ترى يكون رأيه فيها . لا أظنه الا مرجحاً كونها مركبة من اصلين فاكثروا . وربما اهتدى بمد اجهاد الفكرة الى انها مركبة من « لون » والشين ومن تحليل معناها يتبين له ان هذه الشين تتضمن معنى الاستفهام اذ انه يقصد من استعمالها مع « لون » الاستفهام عن الكيفية . لكنه عند ذلك لا يكون قد فعل شيئاً لانه لم يزل جاهلاً بمعنى هذه الشين الاصلي . فهذا اذا كان ممن يذهبون الى ان الالفاظ كذا انزات لا يرى

بدأ من التسليم ان هذا الحرف انما وضع للاستفهام . لانه يُراهُ قد ورد كثيراً في لغات بيروت ولبنان كقولهم « شسمك » بمعنى ما هو اسمك وما شا كل . وان كان ممن يعتقدون الخلاف ويعلمون ان جميع الادوات الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها يأخذ في البحث عن الفاظ تتضمن هذا المعنى وهذا الحرف وربما عثر بعض العناء العظيم على لفظة « شو » التي يستعملها البيروتيون بمعنى « ماذا » فيحكم ان تلك الشين منحوتة منها . وهناك تنقطع سلسلة بحثه فيقف متحيراً أسفاً على ما خسرت اللغة من الالفاظ التي هي حلقات ضرورية لاستقراء أصل مثل هذه الكلمات فينوقف عن البحث وهو على يقين ان ثم حلقات قدّرت فقدانها ولولا ذلك لتيسر له الاستقراء كما يشاء . اما نحن الآن نظراً لبقاء تلك اللغة متداولة بيننا ولديناميتها لهجات عديدة فيسهل علينا تتبع هذه اللفظة الى أصلها تماماً

فان اللبنانيين يعبرون عن « شو » البيروتية بقولهم « أيش » وبعضهم بإلفظها « أيشو » وبعض البيروتيين نصرّفوا بها على طريقة غريبة فقالوا « شو نوّه » والسودانيون يقولون « شو نو » فمن المقابلة يتضح جلياً ان الأصل فيها جميعها عبارة مؤنفة من ثلاثة الفاظ مستقل احدها لفظاً ومعنى وهي « اي شيء هو » وهنا يعرض لدينا سؤال آخر وهو هل يمكننا استقراء احدى هذه الالفاظ الى أكثر من أصل واحد . والجواب اننا لحد معرفتنا الحاضرة يصعب علينا ذلك وبلوح لي ان بعضها قابل وسياقي الكلام على ذلك في آخر هذا الفصل . والخلاصة أفلا يستغرب ذلك اللغوي اذا قيل له ان هذه الشين منحوتة أصلاً من ثلاثة الفاظ مستقل احدها عن الآخر لفظاً ومعنى

وهكذا لو سألنا عن « ايش » المستعملة بمعنى اذا فاننا نراها مؤنفة من لام الاضافة و « أيش » المتقدمة الذكرفكان الأصل فيها « لاي شيء هو » والبيروتيون يقولون « بدّي » بمعنى أريد وهي منحوتة من « بودي » وبعضهم يقول « ماش » اي لا شيء وهي منحوتة من « ماشيء » . وهم يستعملون « كشعو » للتنبيه بمنزلة

« هاهو » والاصل فيها « إقشمة » ولم تكن لنعلم ذلك لولا ان بعض الذين يلفظونها يقربونها من الاصل نوعاً فيقولون « شعو » . والمصريون يعبرون عن نفي الحال بقولهم « مش » وبعضهم يلفظها « ما هوش » نقرباً من الاصل الذي هو « ماهو شي » . واللبنانيون يعبرون عن قولنا « الآن » بقولهم « إسّا » ويلفظها بعضهم « هسّع » ويقول فيها السودانيون « حسّع » والاصل فيها « الساعة » اي هذه الساعة . ومن هذا النوع قولهم « إسّا » وأصلها « للساعة » والبيروتيون يقولون « هلا » بمعنى الآن وبعضهم يلفظها « هلق » والدمشقيون يلفظونها « هالقيت » بلفظ القاف همزة مفخمة واللبنانيون يلفظونها أقرب للاصل من الجميع فيقولون « ها الوقت » والاصل فيها هذا الوقت او « ها الوقت » . ويستفهم البيروتيون عن الكمية بقولهم « قدّيش » ولا يقصدون بها الا « كم » على ان الاصل فيها « قدرأي شي » وهكذا الحال في « كان » المستعملة بمعنى أيضاً والاصل فيها « كما ان »

وهكذا لو تتبعنا سائر الفاظ العامة . فتأمل كيف يفعل النحّات على الالفاظ فيمسحونها مسخاً ولا يبرح من بالك انه يخالف في المعنى الواحد باختلاف الاحوال كما شاهدت في شو وأيش وايشو وغيرها . ولا أظنك ترتاب بانه كان يفعل مثل هذا الفعل على اللغة قبل ان يوشر في جمعها بأزمان . وعليه فلا تعجب اذا ذهبنا الى ان الالفاظ الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معانٍ في نفسها ولو تعمّر علينا استقراء جميعها

قد مرت مرّة المسرع على اللغات الاجنبية ولغة عامتنا فذكرت منها بعض الامثلة فهل ننظر في العربية الفصحى لعلها تسعف فنعطينا ان نبين شيئاً من أصول هذه الادوات وبالله التوفيق

ان الحروف المنطوية تحت هذه القضية هي أحرف الجر والعطف والمشبّهة بالفعل والمشبّهة بليس وحروف الاستثناء والاستفهام والنواصب والجوازم والحروف

المبنية وأحرف الزيادة

فمن هذه الحروف ما لا يزال ملوحاً فيه معناها الأصلي الذي كانت تدل عليه قبلما تُقدر لها فقدانه والاشتغال في ما غيرها. منها قولنا « خلا » و « حاشا » الاستثنائيين وكذا « عدا » فإنها مأخوذة من عدا يمدواي تجاوز. وهكذا الحال في « على » . وكثير من الأفعال والحروف قلما ينظر عند استعمالها حروفاً إلى كونها أفعالاً أو أسماءً ولولم تكن الأصول المشتقة هي منها كثيرة التداول بيننا لما كنا نحسبها إلا حروفاً أو ظروفاً جامدة . مثال ذلك قولنا « داخل البيت » لا نقصد به اعتيادياً إلا « في البيت » وهكذا « خارج البيت » وقولنا « نحو البيت » لا نفهم به غالباً إلا « إلى البيت » مع أنها مشتقة من نحأينحو أي قصد ومن مشتقاتها ناحية وقس عليها

ومنها ما لم يعد تتبعها سهلاً لأنها خسرت بعض حروفها لكثرة الاستعمال وهذه أما أحرف مفردة كالباء واللام والكاف والواو والفاء والتاء أو غير مفردة وهي ما بقي منها

فالباء حرف من حروف الجر يستعمل لافضاء معاني الأفعال إلى الأسماء وهي تأتي لأربعة عشر معنى الاصاق والتعدي والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدلية والمقابلة والمجاورة والاستعلاء والتبويض والقسم والغاية والتوكيد . ومعلوم أنه لا يمكن أن تكون جميع هذه المعاني أصلية فيها وأظن لا سبيل لنا إلى معرفة ما وضعت للدلالة عليه في الأصل إلا بمقابلتها بالباء المستعملة في أخوات العربية وإذا نرى أن الباء لا تستعمل في سائر تلك اللغات إلا للظرفية فيرجح أن هذا هو الأصل في دلالتها عندنا . وما بقي من المعاني ليس إلا تفنناً عربياً . فهل تساعدنا هذه النتيجة في تتبع أصلها . — نعلم بالاستقراء أن هذه الباء هي بقية كلمة ذات معنى مستقل هي حمم (بيت) بدليل أن هذه الأخيرة مستعملة في السريانية بمعنى في أو بين فيقولون حمم حمم (بيت قبورا)

اي في اوين القبور ولنا حم (بي) وهي حلقة موصلة بين « بيت » والباء وقد وردت في التلمود والترجوم بمعنى في البيت وهي في السريانية مجزوم « بيت » وتفيد الظرفية . فيكون لنا إذن سلسلة تامة الحلقات وهي « بيت » ثم « بي » ثم « ب » فيرجح ان الباء هي بقية « بيت » ونظراً لورود « بي » الكلدانية بمعنى الظرفية لا مانع من ان تكون « في » العربية مقلوبة عنها

واللام كالباء تستعمل لمعان كثيرة ومن المقابلة يتضح ان الاصل في دلالتها الاضافة والقصد أي انها تتضمن معنى الى وهي تقوم مقامها في العبرانية والسريانية ومما يؤكد ذلك ان « الى » قد فقدت من السريانية تماماً اما في العبرانية فتحوّلت الى « إل » ثم « ل » فيرجح بل يؤكد ان هذه اللام بقية « الى » . ورب قائل من اين اتت بهذه الدلالة فاجيبه . يظهر ان الاصل في معنى « الى » الجهة والناحية كما هو الحال في « نحو » بدليل كون هذه اللفظة في العبرانية جمع ما مفاده جهة او ناحية وفي العربية « إلية » بمعنى جهة أو ناحية . والظاهر ان الاصل في « إلی » لفظ يقارب « إلية » او هي نفسها وكأنهم كانوا يقصدون بقولهم « ذهب الى المدينة » ما يفيد قولا « ذهب نحو المدينة »

والكاف يظهر من المقابلة ان الاصل في مؤداه التشبيه بدليل كونها هكذا في بقية اللغات الشرقية . اما أصلها فيظهر انه فقد من العربية وحفظ في اخواتها . فهي في العبرانية بقية كن (كن) مفادها « كذا » وربما يقصدون بقولهم « زيد كالاسد » زيد كذا الاسد . و « كن » هذه منحوتة من « كن » « أكن » في العبرانية بمعنى « حقيقة » وفي الكلدانية « حصح » (هكين) او « حصح » (هكي) وقد شق العبرانيون من « أكن » ايضاً « أك » ظرفاً يفيد التأكيد . وشق السريانيون من « هكن » « أكن » (أيك) تلفظ « آخ » بمعنى كاف التشبيه وربما كان في « كنا » العربية ما يلح فيه هذا المعنى

فبناء على ما تقدم يرجح ان كاف التشبيه هي بقية أصل يقابل « أكن » العبرانية فقد من العربية ولم يزل محفوظاً فيها مركباً مع لا النافية أعني به

« لكن » قال بعض أئمة اللغة انها تفيد الاستدراك فكأن أصل مؤداها « لاحتقيقة »
بنفي ما ذكر وتأكيد ما هو آتٍ . هذا ولا غرو اذا شوهد ثم شي من
الاختلاف بين مؤداها الاصلي وما هي عليه فان الاستعمال لا يزال يفعل عليها
حتى الآن اذ ان العامة تستعملها بمعنى « اذن » فيقول البيرونيون « شو بعمل
لكن » بمعنى « ماذا اعمل اذن » فسيحان الذي يغير ولا يتغير

والواو تستعمل لا بنيف على ٣٥ معنى جميعها ترد الى الاستصحاب والاستئناف
وعليه يرجح كونها منخوطة من أصل حفظ في العبرانية وهو « وَو » فعل متعد
مفاده وصل و « سمر » . ويرجح أيضاً ان الفاء مقلوبة عن هذه الواو لان
هذه الاخيرة تؤدي معنا كليهما في العبرانية والسريانية فهم يقولون « آمن
وتحيي » لما هو في اغتنا آمن فتحي . ولا يصعب تبادلها لانهما من مخرج واحد .
او انها بقية « فاء » بمعنى عاد

اما التاء وتقصد بها هنا تاء النسب فقد قال الزنجشيري في « تالله لا كيدن »
اصنامكم « الباء أصل أحرف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة
معنى التعجب كأنه يتعجب من تسهيل الكيد على يده . اه

وما بقي من الادوات مما لا يلح فيها معناها الاصلي فمؤلف كل منها من
حرفين فاكثر . ومن هذه ما هو مركب من أداتين فاكثر نحو « إلا »
من « ان لا » بالادغام و « ألم » من همزة الاستفهام و « لم » النافية وهكذا في
حيثا وكأي وكذا وكيف وأيان وإذما ولولا وما شا كل

ومنها ما يظهر بسيطاً لكنه قابل الحل الى غير أصل واحد نحو « الآن »
فهذه تحل بسهولة الى « أل » التعريف و « آن » بمعنى الوقت ويجملتها تفيد
« هذا الوقت » وكذلك « بين » فانها مركبة من باء الجر و « أين »
ظرف مكان . و « لكن » قد تقدم انها مركبة من لا النافية و « كن » بمعنى
« كذا » . و « ليت » تحل الى « لا » النافية و « آيت » الدالة على الكون المطلق
في السريانية وقد أبدلت في العربية « بأيس » كما سدرى في محل آخر . و « منذ »

تحل الى « من » و « اذ » . ومثل ذلك « عند » فانها مركبة من « عن »
« وب » بدليل كونها كذلك في اخوات العربية حيث لا تزال تستعمل مكتوبة كل
على حدة أي « على يد » واللام والنون تبدلان بسهولة كما لا يخفى . فان العامة
تقول في العام الاول « عاملاً وُل » و « عامناً وُل » . وهكذا في « لدى » فانها
على الأرجح منلوبة عن « ليد » لانها تتضمن معنى عند تقريباً . و « كم » لا ريب
في كونها منحوتة من « كاف » التشبيه و « ما » الموصلة لانها في اخوات العربية
« كما » فكأن الاصل في مؤداهما الاستفهام عن الماهية أي انه كان يقصد بها
ما مفاده « مثل ماذا » وبالاستعمال خصصت للاستفهام عن الكمية العددية كما
حدث في « قدّيش » المتقدم ذكرها . و « مها » أصلها « ما وما » وهي في
العبرانية « ما ومه » أي مؤلفة من ما الموصلة معطوفة على نفسها كان المراد بها في
بادى استعمالها المبالغة في معنى « ما » . و « لن » منحوتة من لا النافية
وأن المصدرية فقصدوا بها في بادى أمرها في المصدر الذي يلحق فيه معنى
الاستقبال ثم أطلقت لنفي الاستقبال وربما كان الاصل في « لم » كذلك « لا
ام » لكنها قد تنوع معناها بحيث يعسر الحكم عليها قطعياً . ويقال بالاجمال ان
جميع الادوات التي تفيد النفي على أنواعه تكون اما تنوعاً الاداة الاصلية « لا »
او مركبة منها وأصل اخر

اما « لدن » فهي « لدنى » بعد ان أدخلت عليها النون التي هي من
تفننات العرب فيلحقونها بأواخر الكلم للترخيم كالتنوين وكما هو الحال في « من »
الموصلة فانها و « ما » من أصل واحد بدليل استعمال الاشوريين هذه الاخيرة
بمقام الاثنين وفي العبرانية لما :- (مَه) اداة الموصل لغير العاقل و :- (مي)
للعاقل . ولم يزل العرب حتى الآن يتفننون باضافة النون في اواخر الكلم فان

السودانيين منهم يقولون « كيفن » بدلاً من كيف و « متين » في متى . و « متى » نرجح انها مركبة من « ما » الاستفهامية وأصل آخر ينيد الاشارة ربما كان « ذا » لانها هكذا في العبرانية والسريانية فيقول السريان « ما داتا » أي متى أتى وبدلاً من « ماد » السريانية يستعمل العبرانيون « ماش » مركبة من ما الموصولة والشين التي هي بقية اسم الموصول « أشر » . والدال السريانية هي اداة الموصول بنفسها

فبعد هذا التجريد قلت الاصول الناشئة عنها هذه الادوات وامكن حصرها في عدد قليل جداً اهمها « لا » و « إن » واخواتها و « أو » و « ما » الموصولة و « من »

اما « لا » النافية فيظهر ان النطق بها للنفي طبيعي لوجودها في سائر اللغات على السواء بمعنى واحد فانها في اللغات الشرقية « لا » وفي الطائفة الآرية no او أحد تنوعاتها والنسبة اللفظية بين هذين اللفظين واضحة لان اللام والنون من اكثر الاحرف تبادلاً لتقارب مخرجيهما كما مر عليك . والنتيجة ان أحد هذين المقطعين أصليٌ فيها والاخر مبدلٌ منه . وعندى ان النون هي الاصل بدليل أ كثرية ورودها عموماً فهي عمومية في اللغات الآرية لانها في اللاتينية وفروعها ne و nemo و no و in وفي اليونانية ni وفي السنسكريتية an و na و no وفي الجرمانية nie و nein وفي الانكليزية nay و not و un و in و no وفي الفارسية « نا » او « نه » وفي القبطية an . وقد أبدلت لاماً في اللغات الشرقية لكنها تركت أثراً يشير الى سابق وجودها . قلنا في العبرانية « لا » (لا) بمعنى العدم المطلق ومثل ذلك « لا » (لا) . وفي العربية لنا « كنهه » و « نأنا » بمعنى كنفكف وأبطل . ولا يخفى ان الاصل في هذين الفعلين « نا » أو « نه » كما في الفارسية وضوعفا للمبالغة كما اعتاد العرب في مثل هذه الاحوال فانهم يقولون « عنعن » فلان أي أكثر من ذكر حرف الجر « عن »

ولا نكتفي بذلك بل نسأل أنى لهذه اللفظة الدلالة السلبية وهل وجدت كما هي أم نجتت عن أصل سابق لها . والجواب على ما أرى ان هذا المقطع من المقاطع التي ينطق بها الانسان غريزياً للنفي والآن لما تأتى للصدقة ايجادها على هذه الصورة من المطابقة في سائر اللغات . والنفي في أبسط أحواله يحصل بمجرد رفع الصوت كما لو أردنا تقديم تفاحة الى طفل مثلاً وقصدنا توجيه ارادته لآخذها فأننا نناديه بصوت منخفض قائلين « تفاحة تفاحة » لكن لو أردنا زجره عن أخذها لرفعنا صوتنا قائلين أيضاً « تفاحة تفاحة » بانتهار فيفهم قصدنا . ويتضح ذلك في معاملتنا الحيوانات التي دوننا في الفهم فأننا اذا أردنا استدعاء الهر مثلاً نناديه بصوت معتدل « بس بس . . . » فيأتي آمناً فاهماً مرادنا ولو أردنا طرده من امامنا لما احتجنا الاً لنفس الصوت مرتفعاً مصحوباً بنبرة تهديدية ^(١) . ولا يخفى اننا نستعمل مع رفع الصوت لزجر ذلك الطفل صوتاً غمياً حاصلأ من اطباق الفم واخراج الصوت من الانف اذ يسمع متوسطاً بين الميم والنون وربما قلده البعض بقولهم « هم » او « هن » ونستعمله العامة لزجر الاولاد عن أخذ شيء ما والاطفال تفهم بالبديهية دلالة هذا الصوت على النهي . ولا يبعد ان يكون هو الاصل لجميع تنوعات النفي المتقدم ذكرها . ويؤيد ذلك كون هذا الصوت الغمّي يستعمل في اللغة المصرية القديمة بمنزلة « لا » الناهية عندنا

اما علاقة هذا المقطع بما قصد به فهو كولة بالصورة الذهنية . كما اننا نقصد برفع الرأس نحو الراء السلب او الرفض وبأخائه نحو الصدر الايجاب أو القبول ولا سبيل للتعليل عن هذه الاشارة ونسبتها الى ما قصد بها على اننا نجريها طبيعياً عن غير علم منا

ومن غرائب النفي والايجاب ما لا يمكن التعبير عنه تعبيراً واضحاً ما يستعمله

(١) ومن طرق النهي في اللغة الاشورية افاق صوت تهديدي هذه حكايته (إه)

بصيغة الامر فيقولون في الامر مثلاً (إ فعمل) وفي النهي (إه إ فعمل)

بعض عامتنا علامة للسلب وهو صوت يحاكي السين او الصاد ويحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق ثم سلخه عنه بطريقة تحاكي المص او « تس » .
والسودانيون يستعملونه ايضاً وعندهم صوت آخر يقصدون به قولنا « نعم » او « مليح » والتعبير عنه بالكتابة تعبيراً واضحاً صعباً جداً . وهو يحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق كالارة الاولى وجعل الهواء يمر بعنف في الجهة اليمنى نحو القصبة . ومهما يكن من امر هذه الاصوات وصعوبة التعبير عنها فهي موجودة واستعمالها جار بكثرة بين الوف من الامم . على اننا لم نسمع بوجود حرف يدل على لفظها فالظاهر انها حديثة العهد

هذا ولا يخفى ان ما صح على « لا » يصح على كل تنوعاتها الناهية والنافية اما « لو » فلكونها شرطية وتستعمل حيثما قصد امتناع الجواب لامتناع الشرط ونظراً لورودها في كتب اللغة مراراً للتمني بمعنى ليت واحياناً للعرض بدلا من « ألا » ارجح كونها و لا (لو) السريانية شيئاً واحداً وهذه الاخيرة منقوطة من (لا) والماضي من فعل الكون الذي هو في تلك اللغة ܠܐ (هو) فكأن الاصل في استعمالها للتمني كقولهم « لو نمتُ التعصب فنحبي الوطن فكأننا قلنا ليتنا نمت الخ » او العرض بمعنى « ألا » نحو « لو تنزل عندنا فتصيب خيراً » والمقصود « الا تنزل . . . » وجملة القول ان « لو » تعد من مركبات « لا » السابقة الذكر . اما « ان » و « إن » واخواتها و « أن » و « أم » فمن اصل واحد هو احداها والدليل على ذلك ان في سائر اللغات الشرقية لفظة واحدة هي « (ام) في العبرانية و (ان) في السريانية و أم في الحبشية تقوم مقام جميعها استعمالاً وإشارة وشرطاً وتوكيداً واستدراكاً

واذا سلمنا بوحدة اصلها يخطر لنا السؤال عن كيفية احتوائها على كل هذه المعاني والدلالات . وعند ذلك يتبين ان الاصل في دلالتها التوكيد والتحقيق فنفرع عنه الاستفهام وهو طلب التحقيق والاشارة وهي التحقيق بعينه والشرط ويقصد به حسب تعريف النحاة ترتيب وقوع امر على وقوع امر آخر فكأنهم

كانوا يقصدون بقولهم « ان قام زيد اقم » اي متى تاكد قيام زيد تاكد قيامي . اما الاستدراك فهو العدول عن الخطاء الى الصواب وفيه معنى التحقيق وهكذا فيما بقي من مدلولات هذه الالفاظ

اما الاختلاف اللفظي بين هذه الادوات فلا يمتد به نظراً سهولة التبادل بين الميم والنون كما قد مرّ في محل آخر وكما هو الحال في « ذنب » العربية فانها مبتدلة من « ذمب » في اللغة الاشورية والعامة نقول « انتلى » عوضاً عن « امتلأ » . اما من قبيل الاسبقية بين الميم والنون فالارجح انها للميم لانها من الاحرف السهلة النطق وهي كما اشرنا في اول هذا الكتاب من الاحرف المتفق وجودها في سائر لغات البشر . ولا يخفى ان الاطفال في اول ادوار حياتهم اول ما يتلفظون بها فينادون بها اقرب الناس اليهم (امهم) ويطلبون اوّل واهم احتياجات عيشهم فيقولون « ما » يقصدون الخبز ومن الغريب اتفاق وجود اسم الوالدة في كل لغات البشر بلفظ واحد تقريباً والمقطع الاصل في الميم

وأغرب من ذلك ان الميم في اللغة المصرية القديمة تستعمل حيثما احتيج الى ربط معنى باخر فتكون حرف جر فنقوم مقام « من والى وعن وعلى وفي » او حرف عطف عوضاً عن « الواو » او ظرفاً فنقوم مقام « بين وحيثا وغيرها » او حرف تشبيه بدلاً من « كما ومثل » وللتحقيق عوضاً عن « ان واخوانها » وتركب مع غيرها من الادوات فتولد ادوات عديدة امان شتى ويستعملونها قبل الاسماء بدلاً مما هو في لغتنا تنوين النكرة فيقولون مثلاً au-a em sera اي « كنت ولداً » فتري ان au-a تفيد « كنت » و sera ولد و em للتكيز .

فيظهر ان بينها وبين نون التنوين عندنا نسبة لفظية ومعنوية كما ترى . ويؤيد ذلك ان هذه الميم تستعمل في اللغة الاشورية والعبرانية لبناء الظروف فيضيفونها الى اخر الاسماء فتصير ظرفاً

وقصارى الكلام يقرب للعقل اسبقية الميم وكونها هي الاصل في كل هذه التنوعات اللفظية كما ان معناها الاصلى الذي هو التحقيق او التأكيد هو الاصل

لكل تنوعاتها المعنوية

والسؤال الاخير الذي لا مناص من مخايرته الذهن هو . أنى لهذا الحرف هذه الدلالة . ولا ريب ان في الاجابة عليه صعوبة على اني ارجح كل الترجيح انها و « أمن » في اللغات الشرقية من اصل واحد ولعل الميم هي من الاحرف الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً لتحقيق^(١)

هذا ولا يفوت القارىء ان « ما » الموصولة وتنوعاتها لفظاً ومعنى تنطوي تحت هذا الباب لانها مقلوب « إم » المتقدم ذكرها ولان « ما » في الاشورية تقوم مقام « إم » و « ما » العبرانية اي ان وأن وان واخواتها وأم وما الموصولة ومركباتها في العربية وقولنا « ان هذا الامك » يضاهاي قولنا « ما هذا الامك »

اما « ما » النافية فاما ان تكون مبدلة من « لا » او « نا » واما ان تكون قد اكتسبت دلالة النفي بالمجاورة بمعنى ان الاشوريين مثلاً استعملوا « ما » الموصولة مع « لا » النافية كلمة واحدة مدة للنفي ثم صاروا يستعملونها وحدها ويقصدون بها النفي . وقد جرى مثل ذلك في اللغة الفرنسية فالفرنساويون يقولون *personne* ويقصدون بها ولا شخص عل ان معناها الاصلي شخص اما « او » فالظاهر انها و « أي » من اصل واحد انفارهما لفظاً ومعنى . ويؤيد ذلك كونها في اللغات الشرقية اخوات العربية واحدة هي « أو » فهي الاصل في العربية أيضاً . وهي تستعمل فيها لاحد عشر معنى . الشك والابهام والتخيير والاباحة والجمع المطلق كالواو والاضراب والتقسيم

(١) ربما لاحظ المطالع بين هذه الميم والنون التي تبرهن كونها اصلاً لجميع تنوعات النفي مشابهة لفظية ومناقضة معنوية ولا يستغرب استعمال احدهما في اول الامر لكلا المعنيين اعني لتحقيق والنفي بتمييز نوع المعنى بدرجة نغمة الصوت كما سبقت الاشارة

والاستثناء بمعنى إلا أو بمعنى الى ان والتفريب والاشتباه والشرطية نحو لا ضربته عاش او مات . ومعلوم ان هذه الدلالات لا يمكن ان تكون جميعها أصلية ويستتج من المقابلة ان الاصل في دلالتها الموافقة والمساواة بين أمرين وعند ذلك يتبين لنا انها بقية لفظة ذات معنى في نفسها فقدت من العربية وحفظت في اخواتها فهي في السريانية ^{١٥٥} (أوي) طابق او وافق في العبرانية ^{١٥٦} (أوه) اختار فيرجح ان هذه اللفظة هي الاصل نظراً لتوافق المعنى واللفظ واجتماع معنى الموافقة والاختيار . مما اذ اليهما تعود جميع تنوعات دلالة « أو »

اما « من » فتأتي لمعان خمسة عشر يرَدُّ جميعها الى التبعيض و ^{١٥٧} (من) في العبرانية جزء او قسم فرجاً كانت مشتقة من أصل يفيد قولنا قسم أو جزءاً وهكذا فيما بقي من الادوات فان معظمها قابل الرد بالاستقراء الى اصله بشرط اعتبار فعل التحت وقابلية الالفاظ للتغير والتنوع دلالةً ولفظاً . بقي علينا النظر في أمر احرف الزيادة وفي هل هي بقية الفاظ ذات معنى في نفسها فنقول :

ان فائدة هذه الاحرف محصورة فيما يحصل من الاشتقاق والتصريف في الافعال والاسماء فتدخل عليها وتنوع في معناها تنوعاً يختلف باختلاف ذلك الحرف

وقبل الشروع في استقراءها اذكر شيئاً عاماً يتعلق بأصل هذه الزيادة : ان الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة . أعني اذا تتبعنا البحث في أحوال اللغات من أسماها الى أديانها نرى مميزات المشتقات تقل فيها حتى تنتهي الى لغات لا أثر فيها للاشتقاق مطلقاً ومن هذه اللغات ما لا فرق فيها ليس فقط بين الماضي والمضارع والمفرد والجمع والمذكر والمؤنث بل لا دليل على وجود مميز بين الاسم والفعل والحرف كما مر في غير هذا المقام واللغة عند أول ارتقاها تأخذ في استعمال ماديها من الالفاظ لمعان تخطر

للتكلم ولم تكن في ذهنه من ذي قبل فيركب وينحت عن غير قصد وينوع
 في اللفظ والمعنى وهو لا يدري . ولا ينتبه بعد زمن الآ وقد توفر لديه من الفعل
 أنواع ومن الاسم كذلك . وعلى هذا النسق تولد الاشتقاق الفعلي فكان لنا منه
 اوزان عدة وكذلك التصريف الاسمي فكان لنا به مميزات الجنس والعدد . والاختلاف
 الحاصل بين اللغات المرتقية في كيفية هذا الاشتقاق ونوعه يؤيد ذلك . فان في
 بعض هذه اللغات أزمنة فعلية لا أثر لها في البعض الآخر فهي في اللغات الشرقية
 اثنان ماض ومضارع وفي اللغات الآرية نحو العشرة وكل من هذه يختلف عن كل
 من ذينك الاثنين . أي ولو وجد زمن ماض في الفرنسية او الانكليزية مثلاً
 لا يكون في كل طرق استعماله كالزمن الماضي في العربية تماماً . والعالم بشيء من
 أحوال هذه اللغات يتأكد ذلك يقيناً . ثم ان من الصيغ الفعلية ما هو أساس هذه
 اللغة ومستغرب وروده في غيرها فان صيغ المزيادات في العربية هي أصل المشتقات
 وعليها عمل عظيم في تنويع المعنى الاصلي اذ تكسبه خواص تختلف بين مبالغة
 وتعمدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يمكن التعبير عنه في اللغات الآرية الا
 بالفاظ خاصة ذات معانٍ مستقلة . فنحن نعبّر عن حصول الضرب بين
 قوم على التبادل بقولنا « تضاربوا » ولا يكفي لتأدية هذا المعنى في اللغات
 الآرية أقل من اربع كلمات . فالانكليز يقولون بالمعنى عينه they have
 beaten each other والفرنساويون ils se sont frappés او ils ont frappé les uns les autres
 ولا يخفى ان اللغات السامية الأخرى
 تقرب من الآرية من هذا القبيل . وهكذا في ما بقي من صيغ المزيادات ونرى
 من الجهة الأخرى ان من أنواع الاشتقاق والتصريف في الطائفة الآرية ما
 تفضل به طائفتنا كالحاق بعض الادوات في أوائل الاصول أو أواخرها للتعبير
 عن تكرار الفعل أو نفيه أو غير ذلك مما لا يسعنا تأديته إلا بإضافة الفاظٍ مستقلة
 كقول الفرنسيين venir المجيء revenir المجيء ثانية comprendre

الفهم و malcomprendre اساءة الفهم . وقول الانكليز understood فهمهم misunderstood ساء الفهم وهكذا في كثير مما لا يسعف المقام في استيفائه والتصاريف الاسمية لا تقل اختلافاً عن الفعلية وهي تقوم بتمييز الجنس والعدد والنسبة والتصغير . والجنس في اللغات السامية وبعض اللغات الاخرى نوعان فقط مذكر ومؤنث اما في اللاتينية واليونانية وغيرها من الطائفة الآرية فثلاثة مذكر ومؤنث وخنس اخر يدعونه بلغتهم Neutrum . اما العدد فبالعكس فانه ثلاثة في العربية واخواتها وفي اليونانية أي مفرد ومثنى وجمع وأثنان في معظم الطائفة الآرية أي مفرد وجمع . وزد على ذلك ان ما يعتبر في هذه اللغة مذكراً ربما اعتبر مؤنثاً في تلك وبالعكس فان لفظه « بيت » مثلاً مذكراً في العربية ومؤنث في الفرنسية و Neutrum في الانكليزية

فما تقدم يتضح ان الاشتقاق والتصرف حادثان في اللغة وانهما يتبعان كل أمة حسب بيئاتها . والاصل في دلالة الالفاظ ان تكون بسيطة ثم تتنوع دلالة وتتكاثر لفظاً بمقدار درجة ارتقاء تلك اللغة . فاذا صحت هذه المقدمة ينتج ان العربية من أرقى اللغات بياناً

اشتقاقات وتصاريف جديدة

والاشتقاق والتصرف دائماً التولد في اللغة ما دامت حية فالتمامل في لغة عامتنا مثلاً يرى هنالك مشتقات وتصاريف فعلية لم تكن في اللغة قبلاً أعني لم يتكلم بها العرب . منها قولهم « بعرف » بمعنى أعرف الآن وهي تدل على الحال ولا تعداه فتخالف المضارع من هذا القبيل . ويتصرف مع هذه الباء أي فعل كان ويشترط ان يكون على صيغة المضارع فتكسبه الدلالة الحالية فيقال « بعرف » للمتكلم و « بتعرف » للمخاطب و « ييعرف » لغائب الخ . وهناك صيغة أخرى تفيد الحال مع الاستمرار كقولهم « نعبأكل » وهي تفيد قولنا « آخذ في الاكل اعلى لاستمرار » ومركبة من الصيغة المتقدمة الذكر بالحق « عم » في أولها وقد ينوعون

هذه الاداة فيقولون « منّا كل » بابدالها « من » وحذف الباء والمعنى واحد في كليهما اعني الحال المستمر . واهل العراق يقولون في هذا المعنى « قا آ كل » او « قا ا كتب » واهل مراکش يقولون « كا آ كل » او « كا ا كتب » ويستعمل المصريون بمعنى الاستقبال القريب قولهم « حاشرب » أي « سأشرب قريباً » ويصرفونها كما يتصرف المضارع مع سين الاستقبال فيقولون حاشرب . حاشرب . حاشرب . حاشرب . الخ ويقول اهل مراکش بهذا المعنى « ماش اشرب » او « غاد اشرب » ويصرفون الفعل معها مثل تصريفه مع الحاء .

فاذا نظر أجنبي في هذه الصيغ المحدثه في لغة العامة وهو لا يعرف الا اللغة الفصحى فانه يحكم لأول وهلة ان الباء و « عم » و « من » و « الحاء » و « قا » و « كا » انما هي أدوات مثل أحرف المضارعة وسين الاستقبال وما شا كل ولا يخطر له انها بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها . اما نحن الآن فنظراً لكثرة المواد العامة لدينا ولسهولة حصولنا على حقائق موصلة بين هذه البقايا وأصولها يسهل علينا استقرارها وتبعيةها الى تلك الاصول : فان عامة البيروتيين تقول بمعنى الحال والاستمرار « عمّال آ كل » وهي تؤدي معنى « عم آ كل » او « منّا كل » تماماً . وبالمقابلة يتأكد لدينا ان الاصل في هذه الاداة انما هو « عمّال » التي هي صيغة المبالغة من « عمل » والتقارب في المعنى واضح . فتأمل كيف تحوّلت « عمّال » الى « عم » وبالاخص الى « من » . ومن اهل بغداد من يقول « قاعد آ كل » بدلاً من « قا آ كل » ومن اهل مراکش من يقول « كائن آ كل » بدلاً من « كا آ كل » فيستدل من ذلك ان « قا » أصلها « قاعد » و « كا » أصلها « كائن »

اما الحاء فتبعيةا أصعب لاسيما لمن كان بالنسبة الى لغة عامتنا مثلنا بالنسبة الى اللغة الفصحى وربما جزم باستحالة غير متردد . لكننا من مقابلة لهجة المصريين بلهجة السوريين يئسر لنا معرفة أصلها بسهولة لان البيروتيين يقولون بمعنى الاستقبال

القريب « رَحاً شرب » أي سأشرب والبنانيون يقولون « رَايحُ أشرب » بالمعنى عينه
فمن مقابلة هذه السلسلة « ح » ثم « رَح » ثم « رايح » يتضح جلياً ان الاصل في هذه
الحاء هو صيغة اسم الفاعل من فعلٍ ذي معنى بنفسه هو « راح » أي مضى واما
« ماش » أو « غاد » في لغة مرا كئش فواضح ان أصلهما « ماشي » و « غادي »
فلا غرو بعد ذلك اذا حتمنا ان أحرف الزيادة انما هي بقايا الفاظ مستقلة
المعنى ولولم يتيسر لنا تتبع جميعها الى أصولها

أما الباء الدالة على الحال فالوصول الى أصلها عسرٌ وقد يتبادر الى الذهن
انها بقية لفظ « بدّي » العامة ومعناها أريد وأصلها « بودّي » وقد سمعنا لبعضهم
تعليلاً يجعلها منحوتة من « أبني » ولكنه لا يخلو من التكلف . على اننا نحكم قياساً
ان هذه الباء بقية لفظة ذات معنى في نفسها ولو استحال علينا التوصل الى تلك
اللفظة الآن على اننا لا نقنط من امكان استقرار قسم عظيم من هذه الاحرف
فنبداً بالفعل :

مزيادات الافعال وتصاريدها

ان الاحرف المزیدة في الفعل الثلاثي لتكوين صيغ المزيادات هي الهمزة
في أفعل والالف في فاعل والتاء في تفعل وتفاعل والالف والتاء في افتعل والالف
والنون في افتعل والالف والسين والتاء في استفعل

فالالف في « أفعل » وتكسب الفعل اللازم معنى التعدية يصعب تتبعها بدون
تكلف فاضرب عنها صفحاً . اما الالف في فاعل وتفاعل فقد حصلت بمد حركة
الفاء وربما قصد بذلك بادىء بدء نوع من المبالغة لثوم ذهني كما هو الحال
في تضعيف عين « فعل » مما سيأتي في محل آخر . أما التاء في تفعل
وتفاعل و « ات » في افتعل فتكسب ان الفعل معنى المطاوعة الذي يلح فيه شيء
من معنى المجهول . والمشارك بينها جميعها التاء . ولكي نصل الى الحقيقة

يقتضي لنا الاستفهام عن أصل هذه التاء وكيف تأتت لها هذه الخاصة . وعند البحث والمقابلة في اخوات العربية يظهر لنا انها بقية «إِت» او ما يماثلها . وهي اللفظة من الالفاظ المطابقة لم ترزل مستعملة في العبرانية بمعنى « ذات » ولا تقع الا مفعولاً بها وهي في السريانية ما (يت) وفي العربية « ذات » مركبة مع « ذا » الاشارية اما الاصل وحده فقد فقد من لغتنا على ما يظهر . وهذه اللفظة موجودة في سائر اللغات بمعنى الكون المطلق كما سيأتي في شرح القضايا التالية . اما المطاوعة التائية في العبرانية والسريانية فأقدر على تبين كونها هي أصل المطاوعة في العربية أيضاً اذ انها تكتب في كليهما ملحقة في أول الفعل . في السريانية **ܐܬܥܠܐ** (اِتْعَل) « بزيادة «إِت» المتقدم ذكرها على الجرد الثلاثي وفي العبرانية قلبت الهمزة هاء فهم يقولون **התעל** (هِتْعَل) قلنا الآن « اِفْتَعَل » و « اتْعَل » و « هِتْعَل » بمعنى واحد وكما تفيد المطاوعة . ونظراً لكون كل من « اتْعَل » و « هِتْعَل » يقوم مقام « تَعَلَّ وَتَفَاعَلَ وَافْتَعَلَ » يرجح كل الترجيح ان الاداة المشتركة بينهما جميعاً هي «إِت» . أما من قبيل مطابقة الدلالة الحاصلة من مجموع دلالة «إِت» و « فَعَلَ » دلالة اِفْتَعَلَ ورفيقاتها فواضح لأنه قد تقدم ان هذه الاداة تفيد « الذات » فكأنهم اول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل فقالوا «إِت قَتَلَ» بمعنى حصول القتل في نفس الفاعل وقد تنوع معناها بالاستعمال الى المطاوعة التي تقرب كثيراً من المجهول لانك تقول « جمعتهم فاجتمع » وبكثرة الاستعمال تولد التنوعان الاخران

أما من قبيل وضع التاء بعد الفاء في « اِفْتَعَلَ » فيردُّ الى ناموس القلب بسهولة . على ان بعض أهل مصر ينطقون بها كما في السريانية فيقولون « اِتْجَمَعَ » في اجتماع و « اِتْرَفَتْ » في ارتفت . واغرب من ذلك استعمالهم هذه الصيغة بدلاً من انْفَعَلَ أيضاً فيقولون « اِتْكَسَرَ » بالتاء عوضاً من « انْكَسَرَ » بالنون و « انْقَطَعَ » في انقطع . وهذه الامثال كثيرة الورد بينهم بحيث يكاد يقال انهم أبطلوا صيغة

انفعل واقتعل وأبدلوهما بإِ تفعل وكل ذلك من كلام عامتهم

أما الالف والنون في « إِ نفعل » فاما ان تكون « إِ ت » بعد الابدال كما سبقت الإشارة لتقارب المعنى بين إِ نفعل وإِ فعمل ولكن الصيغة الاولى لا وجود لها في السريانية فتنب عنها الثانية . واما بقية « نفس » التي هي بمعنى « إِ ت » تماماً وهي في العبرانية والسريانية ~~نفس~~ « نفس » فما المانع من حصول التحت فيها بحيث خسرت حرفيها الاخيرين ويؤيد ذلك ان هذه الصيغة في العبرانية هي ~~نفس~~ « نفعل » بمعنى المجهول تماماً فرجما قصدوا بها ما قصدوا بسابقتها . ولا عبرة في الهمزة الزائدة في إِ نفعل

واستفعل مزيد فيها « إِ ست » وهي تؤثر في معناها على كيفيات مختلفة ترد الى الطلب والميل وعند ذلك يلزمنا البحث عن كيفية حصول هذه الاحرف على هذه الخاصة . وبالمقابلة يلوح لنا انها بقية فعل فقد من العربية وحفظ في السريانية بمعنى مال وهو ~~سطل~~ « سطا » حيث قلبت التاء طاء فهم يقصدون بقولهم « استقتل » مال الى القتل أو أحب القتل وفي « استغفر » طلب الغفران وقس عليه . ومما لا بأس من ذكره ان « إِ ست » في التريكية تفيد الارادة والطلب والسؤال والرجاء والرغبة والارتباب

وايست هذه كل مزيدات الافعال في العربية وانما هي ما غلب استعماله منها وهناك مزيدات كثيرة أهملت فاندثرت ومنها ما لم يبق منها الا أمثلة قليلة حفظت في بعض المظان وهي نادرة . فمن مزيدات الثلاثي المهمة ما زيد فيه حرف واحد ما هو على وزن « تفعل » مثل ترمس وترفل او « نفعل » مثل نرجس و « هفعل » مثل هلقم وهذا لا يزال شائعاً في العبرانية و « سفعل » مثل سنبس بمعنى لبس . و « كفعل » مثل مرحب بمعنى رحب و « ففعل » مثل فيصل و « فوعل » كحوقل وهاتان الصيغتان شائعتان على السنة عامتا الى اليوم مثل قولهم طليق وظليع ويوسع وقيعد وخوطر وزو بن وعورض ودوقر — او على وزن « فاعل »

مثل تأبل و « فعمل » كفر نص وغيرها . وما زيد فيه « ثلاثة » أحرف افعول كاعلو ط و « افعول » وغيرها . وقد أورد صاحب المازهر أمثلة كثيرة منها - ومن المزيادات التي حدثت في اللغة العربية بعد جمعها « تفعل » مثل قولهم « تمعزز » و « تمخطر »

ومما يزداد أيضاً في الافعال نون التوكيد وهي تفيد تأكيد الطلب أو التمني وبعد البحث يظهر انها بقية لفظة بمعنى « هلم أوليت » حفظت في سائر اللغات السامية الا العربية فهي في العبرانية « نا » تستعمل للطلب والتمني فيقولون « Na » « شب نا » ارجو ان تجلس اوليتك تجلس . وفي السريانية « نا » او « ني » وهي مُمدَّة عندهم من الالفاظ المهملة ومنهم من يخطئون فهمها . وفي السامرية « نا » او « ني » وفي الحبشية تكتب « نع » وتلفظ قريبة من « نا » وهي تُصرف عند الحبشيين ويقصدون بهما ان قصد بقولنا « هلم » . والغالب ان هذه اللفظة مأخوذة من أصل يدل على حدث لم يعد مميزاً في اللغات الشرقية اما في المصرية القديمة فلنا Na تفيد المجيء ويرجح ان هذه الدلالة هي الاصل في الجميع . اذ ان هذه التنوعات مهما تعددت لفظاً ومعنى ترد بسهولة اليها لان التوكيد في العربية يستعمل الامر والنهي والاستفهام والترجي والعرض والتخفيض والتمني والقسم وجميعها راجع الى تأكيد الطلب والتمني ويجمعها قولك « هلم » وهذه تقرب معنى من « جاء » على صيغة الانشاء قولنا « هلم نذهب » يضاهي قولنا « تعالوا نذهب » فكأن العبرانيين يقصدون بقولهم « شب نا » تعال اجلس او هلم اجلس . ويقصد العرب بقولهم « قوم من » هلم قم او تعال قم . اما التشديد فعارض على النون كما عرض في ان وأخوانها وكما ستري عند الكلام على المضاعف

ومن اشتقاقات الفعل أيضاً اسم المفعول والفاعل واسم الآلة وجميعها الآ ثلاثي الجرد يصاغ بزيادة ميم في أوله والاصل في هذه الميم على ما يظهر الدلالة الموصولة فني قولنا « مكرم » نقصد الذي يُكرم او من يكرم وفي « مكرم »

نقصد الذي يكرم أو مَنْ يكرم . فنستدل ان هذه الميم هي بقية « مَنْ »
 او « ما » الموصولين لانها كثيراً ماوردت في العبرانية متصلة بالافعال مجردة من
 النون . ويؤيد ذلك تطابقها لتلك الميم لفظاً ومعنى بحيث يمكنها القيام مقامها
 تماماً فان « ملقط » و « ما يلقط » بمعنى واحد . ثم ان اسم الزمان والمكان
 يحملان على هذا التأويل مجازاً . اما اسم الفاعل والمفعول في الثلاثي المجرد
 فحاصلان في الغالب بمد احدى حركات الاصل

ومن المشتقات الفعلية المضارع وهو يصاغ باضافة احد احرف المضارعة
 (الالف والنون والياء والتاء) في أول الماضي . وما هذه الاحرف الا بقايا الضمائر
 المنفصلة اذ ان الالف والنون من مخصصات المتكلم على اطلاقه والياء للغائب والتاء
 للخطاب كما سيأتي في باب الالفاظ المطلقة وهي تقابل ضمائر الرفع المنفصلة التي
 نبحث في الاصل من الضمائر المنفصلة

ورب قائل يقول كيف تفيد هذه الاحرف المضارع اذا ألحقت في أول
 الفعل والماضي اذا ألحقت في آخره فالجواب ان اللغة في بادئ أمرها لم يكن فيها
 مشتقات فعلية ماضٍ او مضارع فكانت لفظة « ذهب » مثلاً تفيد مطلق
 الذهاب غير مقترن بزمان فاذا اراد المتكلم الدلالة على ان الذهاب حدث في
 زمن مضى ذكر أولاً الفعل ثم الضمير . فيقول مثلاً للخطاب « ذهب انت »
 فكأنه بتقديمه الفعل لفظاً يشير الى تقدم حدوثه معنى . وبالعكس ذلك متى اراد
 الاستقبال فانه كان يقدم الضمير فيقول « انت ذهب » مؤخراً الفعل بالوضع
 بناء على تأخره في الحدوث . ثم خسرت الضمائر بعض أجزائها بالتحذف لتخفيف
 اللفظ فوصلت اليها على ما نشاهدها وقد جرى ما يماثل ذلك في صدر الاسلام
 فان بعض القبائل كانوا يقولون « أن فعلت » بدلاً من « انا فعلت » ويشهد
 بان احرف المضارعة هي في الاصل ضمائر حالة اللغات الاخرى المارتنية حيث يقوم
 فيها الضمير المنفصل مقام حرف المضارعة عندنا . فالاصل الدال على الذهاب
 في الانكليزية مثلاً Go فيصاغ منه الحال باضافة الضمير المنفصل في اوله

فَنَقُولُ فِي أَذْهَب I Go وَمَقَادَهَا حَرْفِيًّا « اَنَا ذَهَب » وَفِي تَذْهَب you go وَمَقَادَهَا حَرْفِيًّا « أَنْتَ ذَهَب » وَمِثْلُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ اللُّغَاتِ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَيْضًا صِيغُ الْأَسْمَاءِ فَلَهَا كَثِيرَةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَمَا أَهْمَلُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا بَقِيَ . فَتَنْدُ ذَكَرَ صَاحِبُ الْمِزْهَرِ بَضْعَ عَشْرَةِ صِبْغَةٍ مِمَّا أَهْمَلُ أَوْ بَطَلَ اسْتِعْمَالُهُ مِثْلُ فَعَالٍ فَعَوَّلَ وَفَعِلَ وَفَوَعَلَ وَفَعْلَعَلَ وَفَعْلَمَلِيلَ وَفَعْلَمَلِيلَ وَفَعْلَمَلِيلَ وَفَعْلَمَلِيلَ وَغَيْرَهَا . وَبَعْضُ هَذِهِ الصِّبْغِ مَأْلُوفٌ إِلَى الْآنَ فِي أَخَوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَعْضُ الْمَأْلُوفِ مِنْهَا فِي هَذِهِ مَخْجُورٌ فِي تِلْكَ

عَلَى أَنْ صِيغَ الْأَسْمَاءُ لَا تَنْزِلُ لِتَجَدُّدِ بَتَوَالِي الْأَزْمَانِ لِلتَّعْوِيزِ عَمَّا انْدَثَرَ شَأْنُ الْأَجْسَامِ الْحَيَّةِ النَّائِيَةِ . فَمِنْ الصِّبْغِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَهِيَ سَائِعَةٌ عَلَى السَّنَةِ عَامَّةِ الشَّامِ « فَعَوَّلَ » وَ « فَعَوَّلَةٌ » لِلتَّصْغِيرِ أَوْ التَّجْبِيبِ أَوْ لَهَا مَعًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ فِي نَصْرِ اللَّهِ « نَصَوَّرَ » وَفِي نَعْمَانِ « نَعَوَّيْتُ » وَفِي عَايِشَةَ « عَيَوَّشَةُ » وَفِي أَمِينَةَ « أَمَوَّيْتُ » وَكُلُّهَا لِلتَّجْبِيبِ وَمِثْلُ قَوْلِهِمْ فِي سَيْفٍ « سَيَوَّيْتُ » فَهِيَ لِلتَّصْغِيرِ وَعِنْدَهُمْ صِبْغَةٌ لِلتَّصْغِيرِ النَّصْغِيرِ عَلَى وَزْنِ « فَعَوَّلَايَةِ » فَيَقُولَانِ فِي « سَيَوَّيْتُ » « سَيَوَّيْتُ » وَمِثْلُهَا « تَوَوَّيْتُ » مِنْ « تَوَوَّيْتُ » تَصْغِيرُ « تَوَوَّيْتُ » وَهِيَ عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى الْقِطْعَةِ وَالْقَابِلِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَمِمَّا حَدَّثَ مِنْ صِيغِ الْأَسْمَاءِ وَزْنُ « تَفَعَّلَايَةِ » مِثْلُ تَحْمِيَّةٍ وَتَوَصَّيَّةٍ وَتَسْلَايَةِ وَأَصْلُهَا تَوَصَّيَّةٌ عَلَى وَزْنِ تَفَعَّلَايَةِ

أصاريـف الاسماء

نَذَكُرُ مِنَ التَّصَارِيفِ الْأَسْمِيَّةِ أَوَّلًا النَّسْبَةَ وَهِيَ تَصَاغُ بِزِيَادَةِ يَاءٍ مُشَدَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ مَا قَبْلَهَا فِي آخِرِ الْأِسْمِ فَمِنْ « تَغْلَبَ » « تَغْلِبْتُ » وَمِنْ « دَمَشَقَ » « دَمَشَقْتُ » فَخَاصَّةُ النَّسْبَةِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْيَاءِ الْمَشَدَّدَةِ . وَأَنَّى لَهَا هَذِهِ الْخَاصَّةُ ؟ يَسْتَدِلُّ مِنَ الْمَقَابِلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يَقَابِلُهَا فِي سَائِرِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ أَنَّهَا فِي الْجَمِيعِ مِنْ أَوَّلٍ وَاحِدٌ فَهِيَ فِي الْعِبْرَانِيَّةِ كَمَا فِي الْعَرَبِيَّةِ تَمَامًا أَمَا فِي السَّرْيَانِيَّةِ فَهِيَ مَلْ « يَاءَ »

مفتوح ما قبلها وهي الاقرب الى الاصل الذي هو « اوى » في السريانية ومعناه « وافق » او ناسب كما تقدم وهو في العبرانية « أَوْه » مال او قطن وفي العربية « أوى » مال الى أو قطن . والظاهر ان الاصل في النسبة ان تكون الى الاما كن كبيروتي ودمشقي ومصري . وعند مانري ان حمل « بيت » تنسب في السريانية حمل ما « بيتيا » بعد حركة الاء يرجح لنا ان ياء النسبة بقية « أوى » المتقدم ذكرها . قولهم بيروتي يراد به ساكن بيروت او مناسب لها وهكذا في البواقي . وأما قولنا علمي وأديني فقد استعمل مجازاً في بادئ الامر وكثر وروده حتى اعتبر حقيقة . ومما لا يخلو ذكره من فائدة ان « أوى » تقابل aveo اللاتينية . و aw السنسكريتية وجميعها بمعنى « مال الى » . وترى في الامثلة المقدمة ان الالف والواو فقدتا بالفتح لكنها قد تظهران احياناً كما في حي وحيوي . ومن التصاريف الاسمية التصغير ويصعب علينا تحليله الا ان نعدّه صيغة من صيغ الاسم تكسبه معنى التصغير نحو ما تكسبه اياه صيغة فعول العامة المتقدم ذكرها . — ومما يشترك بين الافعال والاسماء من الزيادات مميز الجنس والعدد

اما (مميز الجنس) فليس أصلياً في اللغة والدليل على ذلك انه يقل في بعض اللغات ولا وجود له في البعض الآخر : قلنا في ما تقدم ان اللغات الدنيا هي في الغالب خالية من مثل هذا المميز . ونقول الآن ان بعض اللغات الآرية يميز فيها الموثث من المذكر باضافة الفاظ . متعلقة ذات معنى في نفسها الى اصل مشترك الدلالة يقابل اسم الجنس عندنا . ففي الانكليزية Goat ماعز يقصدون بها المذكر اعتيادياً فاذا ارادوا التمييز ودفع الالتباس اضافوا اليها ما يميزها من الضمائر فيقال he goat المذكر و she goat الموثث . وقد يحصل هذا التمييز باضافة كلمة « رجل » او « امراه » فنقدم cook تفيد قولنا « طبّاخ » فيقولون لرفع الالتباس a man cook رجل طبّاخ

و a woman cook امرأة « طبّاخ » . وقد يحصل التمييز باضافة لفظة ديك او دجاجة الى الاسم المشترك فيقولون cock sparrow مفاده حُرفياً « ديك دوري » ويقصدون به « عصفور دوري » و hen sparrow دجاجة دوري يقصدون بها عصفورة دورية . والانكليز لاميّز للجنس او العدد في نعوت لغتهم مطلقاً فيقولون Good man رجل صالح Good woman امرأة صالحة good men رجال صالحون good women نساء صالحات . وهذا النقص في الانكليزية محدود (في الاسماء) اما في الفارسية فعام في جميع اسمائها . فلا يميّز الجنس فيها الا باضافة كلمة مستقلة المعنى فيقولون « شير » اسد وهو اسم جنس فاذا ارادوا الذكر قالوا « شير نَر » أي اسد ذكر او المؤنث قالوا « شير مادّه » اسد انثى ويقصدون بها لبوءة . وهكذا في كثير من اللغات الطورانية فان في التركية يقال (كما في الفارسية) « قيون » اسم جنس الغنم فاذا ارادوا خاروف قالوا « اركك قيون » ذكر غنم . او غنمة قالوا « ديشي قيون » أي انثى غنم . وفي بعض السميات البشرية يزيدون كلمة « قَرز » (ابنة) على المذكر فيصير مؤنثاً فمن « قرنداش » اخ عندهم « قَرز قرنداش » اخت ومن « أوغلان » غلام « قَرز أوغلان » صبية أما في معظم اللغات المراتقية فيميز المؤنث من المذكر بحركة تجعل في أواخر الاسم أو الفعل وهي من الفتحة فما دون حتى الكسرة . فهي في اللاتينية واليونانية « a » او « e » وفي الفرنسية « e » وفي المصرية القديمة والاشورية الفتحة او الكسرة وفي العبرانية الفتحة مسندة بالهاء . وفي السريانية الفتحة مسندة بالالف وفي العربية الفتحة مسندة بالياء التي تعود هاء عند الوقف . ومن الجهة الأخرى تبدل الهاء العبرانية تاء عند التحرك . فنحن نقول من قتل « قتل » المؤنث وهكذا السريان **ܩܬܠܬܐ** اما العبرانيون فيقولون **קָטַלָּהּ** (قتلها) بالهاء فاذا اقتضت العوامل تحريكها قلبت تاء

فبناءً عليه يرجع ان علامة التأنيث ليست الا حركة وضعت طبقاً لصورة ذهنية شاهدة بمناسبة هذه الحركة لدلائلها . ويؤيد ذلك اتفاق وجودها في اكثر اللغات على السواء . على ان القياس يقتضي كونها بقية افضة تفيد قولنا « انثى » والله أعلم

و (مميز العدد) حادث في اللغات أيضاً لاختلاف درجات هذا التمييز باختلاف اللغة . ونتكلم عن مميز الجمع لان المثني فرع منه فيظهر من المقابلة ان علامة الجمع واحدة في سائر اللغات الشرقية أماثها وأفماها في العربية النون في الاسماء والافعال الخمسة والميم في الضمائر . وفي العبرانية الميم في الجميع لكنها وردت مراراً عديدة مبدلة بالنون . وفي السريانية النون في الجميع ولم ترد مبدلاً على الاطلاق وعند ما نتذكر قابلية التبادل بين الميم والنون يسهل علينا الحكم بوحدة أصلها في الجميع . والنون علامة الجمع في اللغات الهندية وما ينتمي اليها كالفارسية والامانية والاوردية

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ان الميم في العربية تلحق بأواخر الاسماء للتعظيم فيقال « رجل بحرم » أي بحر كبير . وترى بين دلالة هذه الميم وميم الجمع علاقة عظيمة بحيث يكاد يثبت ان كليهما واحد لان للتعظيم والكثرة صورتين متقاربتين الشكل في ذهننا . على اننا بعد كل ذلك لا ننجم من السؤال عن كيفية حصول هذه الميم على هذه الخاصة فيتبادر الى ذهننا انها بقية كلمة اتفق وجودها في جميع اللغات السامية والمصرية هي « ميم » بمعنى نهر كبير او بحر فمن وجودها في جميع هذه اللغات يستدل على قدم عهدها وربما كانت حكاية صوت المياه اذا جرت بفزارة فتوهوا فيها معنى الكثرة

وسواء استطعنا تتبع جميع هذه الالفاظ الى أصلها أولا ومهما يكن في تعليلنا من الغرابة والتكلف فذلك لا يمنع استدلال العقل بهذه الامثلة القليلة حتى يحكم بالقياس على سائر اللغات واعتماداً على ما للأحوال من التأثير في الالفاظ وكيف انها فاعلة عليها دواماً فتتوهمها لفظاً ومعنى بين نحت وابدال وقاب

ونظن ما ذكرناه كافياً لاثبات القضية الثانية ونضرب صفحاً عن ابجاث اخرى مطولة تملق بأوزان جمع التكسير وحركات الاعراب وأسباب المنع من الصرف وغير ذلك من الاشتقاقات والتصاريف التي يقتضي لها بحث أدق وزمن أطول ومقام أرحب

وما لا بدء من ذكره ان معظم هذه الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها قد تولدت في اللغة قبل ان يوشع في جمعها بأزمان لا يعرف مقدارها والارجح انها تولدت في جميع اللغات السامية وهي في مهد أمها أي قبل ان قضي عليها بالتشتت والتنوع ودليلنا ذلك ما بينها من المشابهة كما مر

القضية الثالثة

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقرار

الى اصول ثنائية (احادية المقطع) تحاكي اصواتاً طبيعية

تشتمل هذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها واللغويون يردون كلاً من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ولا يرون هذه الاصول قابلة للرد الى أقل من ذلك وعندي انها قابلة ولو بعد الغناء فلا افاظ او بحسب زعمهم الاصول الرباعية قد أجمعوها مؤخرًا على انها ثلاثية مزيد فيها . وهذه الزيادة اما قياسية فتكون سيناً او شيناً في أول الكلمة والمزيدات تكون على وزن سَفْعَلْ أو شَفْعَلْ وهذا الوزن من جملة مزيدات الثلاثي في اللغات الشرقية لكنه أهمل في لغتنا وما ورد منه عدوهُ رباعياً مجرداً . واما السريانية فحفظته كباقى المزيديات وهو كثير الورد فيها ونادر في العبرانية . فمن الالفاظ التي وردت على هذا الوزن عندنا قولهم «سَقْلِبُهُ» أي صرعه من قلبه و«سَلْفُهُ» بمعنى

ابتلاءه من لغفه . و « سملج » أي جرع جرعا سهلا من ملح الصبي أمه تناول ثديها بأدنى فيه فوضع . و « شبرق » ملوح فيه معنى برق . ومن هذه الصيغة ما تستعمله العامة ولا اثر له في كتب اللغة كقولهم « سمهد » بمعنى مهد و « شلهب » بمعنى لهب وغير ذلك . ومن الرباعي المبتدأ بسين او شين اسماء كثيرة جميعها تتضمن معنى الطول والسعة وقد تحصل هذه الزيادة بمضاعفة حرف او اكثر من الاحرف الاصلية كجلب ولبل وقصص وقطقط وطفطق وصهلصلق وما شا كل . أو أن تكون حرفا دخيلا وهو في الغالب احد هذه الاربعة « ل م ن ر » فيكون في اول الكلمة كما في نبذر بمعنى بذر ولذم كذم بمعنى القطع ودحدر من حدر وغيرها . او في وسطها كسطاح من سطح اي اتسع وساحف من زحف او سحف ويرعط من بعط وخرمش من خش وشربك وشنيك من شبك وشمرق من شرق ويقال فقع أصابعه وفرقهها . او في آخرها كقولهم الفعل (الملائن) من فعم وبحثر بمعنى بحث وبثر بمعنى بحث وسحفر اي مضى مسرعا من سحف التي حفظت في زحف . وقطعن وقطعر من قطع وقس عليه . وقد تكون الزيادة على طرق أخرى لكنها لا تخرج بالحقيقة عن هذه الا فيما هو اجنبي ك بعض الكلمات الفارسية ولا ضابط لها (منها الطست والخوان والسكرجة والجزذباغ من الفارسية واكسيد والبيكروسكوب والتلسكوب وأسماء أخرى علمية من اليونانية واللاتينية) وبعض ما كان على وزن فعلن هو من السريانية او العبرانية مأخوذة عن صفة كشيطن من شيطان وقطرن من قطران وعربن من عربون وقد يصاغ الرباعي من الفاظ اعجمية تعربت مثل « دولاب » فانها كلمة فارسية مركبة من « دول » ولو « آب » ماء ويريدون بها المنجنون التي تديرها الدابة ليستقي بها بما يشبه الساقية عندنا فشق المولدون منها فعلا رباعيا فقالوا « دَوْلَب فلانا » اي دَوَّرَه الى مراده وقس على ذلك

﴿ والاصول الثلاثية ﴾ هي الاكثر في اللغة فلذا كان للبحث فيها اهمية كبرى . وقد نبين ما تقدم ان الاصول الرباعية مزيدة والاصل فيها ثلاثي وأقول ان الثلاثي أيضا مزيد والاصل فيه ثنائي غالبا وايضا كذلك اقسام الادلة الى قسمين

أولاً . استقراء الفاظ اللغة العربية ومقابلتها

ويفيد غالباً في الاصول النحوية

يرى الباحث في دلالة الفاظ العربية المدعوة مجردة ان للمعنى الواحد الفاظاً عديدة لتقارب لفظاً ويمكن تقسيم الفاظ المعنى الواحد الى مجموعات تشترك الفاظ كل مجموع منها بحرفين هما الاصل المتضمن المعنى الاصلي . والزيادة ربما نوعته تنويعاً طفيفاً مثاله : قطّ وقطب وقطف وقطع وقطم وقطل جميعها تتضمن معنى القطع الا ان كل واحدة منها استعملت لنوع من تنوعاته فالثاني والثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع والخامس العوض والسادس الشدة والاصل المشترك بينهما قط وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى . ويجانس قط قص ومنها قصم وقصل وقصب وقصر وقصف وقصا جميعها تفيد القطع . ويجانس قص قض ومنها قض وكس وقاض وقض وقضم وقضب وقضع . ويجانس قص كس ومنها كس وكسر وكسع وكسم والاولى والاخيرة من هذه السلسلة تتضمن معنى الدق والفت ويجانس قص ايضاً جذ ومنها جذّ وجذب « يقال جذب الريق اذا انقطع » وجذّر وجذف وجذم وكلها بمعنى قطع ويجانس جذ جز وهذه حكاية صوت المقص اذا جزّ شعراً او صوفاً ومنه جزّ وجزأ وجزر وجزع وجزح وجزل وجزم وجميعها من باب القطع . وتنوعات هذا المعنى تنفوق المئات عدداً وقد تصرفوا في استعمالها على طرق مختلفة حقيقةً ومجازاً وكلها ترد بالاستقراء الى اصل واحد هو حكاية صوت كما رأيت . وهكذا الحال في القسم الاعظم من كلمات اللغة فمن هب بمعنى ثار او هاج لنا هب وهبج ضرب شديداً وهبذ عدا واسرع في المشي وهبش بمعنى هبج وهبص الرجل نشط وعجل وقلق واخيراً هب الفرس فرّ . فترى ان جميعها يتضمن معنى ثار او هاج . و « هب » هي حكاية صوت اللهب اذا نفخته الريح . ولنا بمعنى الدق والشدة وتلب الناقة في انفها طعنها ولحمه ضربه ولتخ مثل لطح والشيء شقه واقده اي لكزه وهكذا لازه

ولتفه ولتمه كلها بمعنى الضرب والاصل المشترك بينهما لت ويجانسه لظ ومنها لظ
اي لزم وكنتم والباب اغلقه والشيء به لصفه واطاه اي ضربه على ظيره واطأ
بالارض لصق بها واطأه ضربه وهكذا لطح واطخ واطس واطش واطع واطم
واطه وجميعها تنوعات معنى واحد . ولنا بمعنى الطلاقة واللفظ والانبساط بس
وبسأ وبسم وبسط وبسل وبسن اي حسنت سمعته وكلها ترد الى معنى واحد
ومقطع واحد هو بس وربما كانت الاصل فيه بش وهو من الاصوات التي
ينطق بها الانسان غريزياً عند الاستحسان كما لا يخفى . ولنا بمعنى التواء والبروز
نب ونبت ونبت بمعنى حفر وكذلك نبش ونبج ونبذ ونبر ونبط ونبض ونبع
ونبق ونبه « بمعنى اشتهر بالشرف » ونبا وجميعها تفيد التواء والبروز والاخراج
اما نب فقد جاء في حديث الجدود يعمد احدهم اذا غزا الناس فينب كنيب
التيس وقال في النهاية النيب صوت التيس عند الفساد . والتف والتفت وسخ
الظافر ويقاربه تفي وتفل بصق وجميعها تشترك بمقطع « تف » وهو من
الاصوات التي ينطق بها الانسان غريزياً عند القرف ومنها ايضاً الثفن اي الوسخ
وتفه قل وخس . ومن ضروب الفتح لناق وفتا وفتح وققر وفتقص وفتقص وفتقص
وفتقص والعامية تقول فتقع وجميعها ترد الى فت وهذه حكاية صوت القرية اذا
شقت وهي ملاثة او ما شا كل

فترى في ما تقدم من الامثال ان الحرف المزيّد واقع في آخر الكلمة وهذا هو
الاغلب الا انه قد يكون في الوسط اي بين الحرفين الاصيلين كشلق من شق
وفرق من فق وقرط من قط وقرص من قص وقرض من قض وشرق من شق
ايضاً ولحس ولسم ولهس من لس . ويجانس فق بق ومنها برق وبعق . ولهط
من لط بمعنى ضرب . وقد يكون في اول الكلمة نحو رفت من فت ولهب
من هب ورفض من فض ولس من مس وفطح وبطح من طح ونذل من ذل
وغاف من اف وقس عليها ما لا يسعف المقام في استيفائه . وسيأتى شرح ذلك
باكثر ايضاح فيما بعد

كيف حصلت هذه التنوعات

كل من هذه التنوعات اما ان يكون حاصلًا من تركيب اصلين لكل منهما معنى في نفسه أو لا فاذا كان الاول كان حصوله على طريق — منها التحت اي ادغام كلمتين فاكثر الى كلمة واحدة كما مرّ وهذا رأي بعض اللغويين في الرباعي ولا نرى مانعًا من اطلاقه على الثلاثي ايضًا لان بعض الافعال الثلاثية تقبل الحل الى اصلين لكل منهما معنى في نفسه نحو قَطَفَ ويفيد القطع والجمع والاصل فيه على ما ارى « قَطَفَ » الاولى قطع والثانية جمع وبلاستعمال اهملت اللام ونقلت حركتها الى ما قبلها فصارت قَطَفَ . و« قَشَ » اي جمع ما على الارض من الفئات فانها ترد الى اصلين فَمَ وقَشَ الاول بمعنى كنس والثاني جمع . فكانوا اذا ارادوا كنس شيء ما وجمعه قالوا « قَمَ قَشَ » وبالتخفيف ألغيت القاف الوسطى فقيل قَشَ . وهكذا في بيع فانها ترد الى « بَعَ بَيْجَ » ومثل ذلك كثير في الالفاظ الثلاثية وان استبعد بعضهم هذا التعليل فهو غير مستبعد عند من له شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والتحت . وزد على ذلك ان من يسلم بإمكان حدوثه في الرباعي تحت اربع او خمس كلمات الى كلمة واحدة كقولهم بسمَلْ « قال بسم الله » وسبحلِ « قال سبحان الله » وهليل « لا اله الا الله » وحوْ قَلْ « لا حول ولا قوة الا بالله » وحمل « قال الحمد لله » وحيمِلْ « قال حي على الصلاة حي على الفلاح » وطليق « قال اطال الله بقاءك » وجعلف « قال جعلت فداك » ودمعز « قال ادام الله عزك » لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل

او يتم بواسطة الترقيم اي اجمال القسم الاخير من الكلمة تفتنًا في اللفظ كقولهم « يا ابا الحكماء » في « يا ابا الحكم » وامثال الترقيم كثيرة في العربية منها قولهم احدثى في احتسب وتجمى في تجمع وتجنّى في شجب وباهاه في باهجه واعتمى في اعتمد وتقنى في تقنع واحتنى في احتفل وفصا في فصل ووصى في وصل وتمطى في تمطط وتغضى في تغضض وتدلّى في تدلّل وتطلى في تطلّطل والسادى في السادس وغيره مما يضيق عنه المقام . وعامة الشام يقولون « تما » في تعال . . فهل يبعد تركيب

اصلين ثنائيين وتحولهما معاً الى اصل واحدٍ ثلاثي على طريق الترخيم
واذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه فلا يخلو ان يكون لاحدهما او لا
فان كان الاول كان احد اللفظين فعلاً والآخر حرفاً زيد اعتباراً • وهو في
الغالب احد هذه « ل م ن ر » وربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة
او تنوع الفعل بما يوافق قصده نحو فض ورفض وهب وهبّ ولبّ ولبّ وشلّ وشلّ وكنّ
وسكن وربما كانت هذه مزيّدة سابقها على نحو ما تقدم في صيغة سفلّ وقس
عليه • اما المضاعف والاجوف والناقص فتولدها اقرب من الجميع اذ لا فرق بينها
وبين الاصل الا بمقدار الصوت لا بنوعه وسيجيء تفصيل ذلك • واذا لم يكن
لاحدهما معنى في نفسه اي ان لا يكون اسماً ولا فعلاً فلا يخلو ان يكون حرفاً وربما
كان اسماً او فعلاً في الاصل ولم يعد ممزاً الآن • ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات
العربية تقدمها مثلاً : من ينظر في لفظة « مال » بمعنى مقتنيات لا يخطر له الاّ انها اصل
مستقل ولكنّها في الواقع مركبة من « ما » الموصولة ولام الاضافة فكانوا يريدون بقولهم
« مالك » الذي لك اي مالك ومقتنياتك • ولكثرة الاستعمال اصبحت كلها
كلمة واحدة كما حدث في « اشرل » • • العبرانية فتحوّلت الى « شل » وقد خصت
« مال » الآن بالدلالة على نوع النقود من المقتنيات على حين انها قد تستعمل بمعنى
« شل » العبرانية اي « خاصة » وقد صرفوا هذه اللفظة وشقوا منها مشتقات عدة فقالوا
ماله يموله مولاً اعطاء المال • ومال صار ذامال وهكذا موله صيره ذا مال واماله
اعطاء المال وتمول الرجل كثر ماله • ويقولون رجل مالّ اي متمول معط
ولا يبعد ان يكون مال يميل مأخوذ عنه فان الاصل في مؤدى هذه أحبّ ورغب
والمال احب ما لدى الانسان • وهكذا اذا بحثنا عن « نور » او « نار » فاننا
نراها مركبة من اصلين فهمي في العبرانية « أور » وفي الاشورية « أر » وثنا في
العربية ما يدلّ على سابق وجودها على هذه الصورة فاننا نقول استأور فلان
اي عجل في الظلمة وهي على صيغة استفعل • صاغة من اصل ربما كان « آر »
ونظراً لدلالة هذه الصيغة على الطلب والرغبة يرجح ان قصدهم باستأور فلان في
الظلمة انه اسرع يطلب النور • ولنا ايضاً « الأوار » حر الشمس والنار ومنها
مجازاً العطش والدخان واللهب والجنوب جمعها « اور » ومن ذلك قولهم « الآر »
اي العار • وربما كان الاصل في هذه اللفظة حكاية الصوت الطبيعي الذي يخرج

الإنسان اذا لدغته النار . اما الذون فلما ان تكون بقية كلمة ذات معنى او انها لا معنى لها الحقت اعتباطاً من قبيل ما تقدم

وكذلك « ويل » فانها مؤلفة من « وي » لفظ تأوّه وهو من الاصوات الطبيعية ولا م الاضافة والدليل على ذلك انما نعبّر عنه بقولنا « ويلى » كان « ويل » كلمة واحدة يعبر عنه العبرانيون والسريانيون بقولهم « ويلى » وقد وردت « وي » وحدها مراراً عديدة في العربية كقولهم « ويك » وما شا كل . ومع ذلك تراهم قد جمعوا اللفظة ويل وصرفوها على المزيادات فقالوا ويل وتويل وتويل واستعملوها اسماً لواء في جهنم وشقوا منه مرة فقالوا ويلة ويقصدون بها فضيحة . وزد على ذلك انهم ركبوا من « وي » عدة كلمات منها ويح ويوب وربما كان اصلها ويى اب للاستغاثة به ويح ربما من « ويى » اخ . وييس وييه . ولم يكتفوا بذلك بل ركبوا من « ويل » قولهم « ويلمه » بمعنى دام فيقولون لمن عرف بالدهاء « ويلمه » وهي منحوتة من ويى لومه او ويل لومه فتأمل

وهكذا يقال في الفعل الناقص « ليس » الذي هو بحسب الظاهر اصل مستقل فانه مركب من « لا » حرف نفي و « آيس » الدال على الكون المطلق فادغمنا معاً وكوننا كلمة واحدة كما رأيت . وهذا الاصل آيس » الدال على الكون المطلق واحد في اكثر اللغات المرتقية لاسيما القديمة ففي العبرانية « يش » وفي السريانية آيس إيت وفي اللاتينية والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن est وقد تركبت « إيت » السريانية مع « لا » النافية فكانت آيس (ليت) لنفي الكون المطلق مثل « ليس » وهي تذكرنا بالحرف المشبه بليس اعني به « لات » ولا يخفى ان ليس من الافعال الناقصة فالظاهر انها كانت تكتب « لا آيس » ولا تستعمل الا منفية كما تكتب اخواتها ما دام وما برح وما انفك وما زال الخ ولكثرة الاستعمال خففت . وبناءً عليه كان يخشى ادغام هذه الافعال او نحتها الى كلمة واحدة لو لم تكن اللغة مدونة ومضبوطة . ويقال نحو ذلك في لثا يلشوا لشوا اي خس بعد رفعة فانها منحوتة من « لاشي » ويوضح اصلها من زياداتها فيقال لاشاء ملاشاة فتلاشى تلاشياً ضمحله وصيره الى العدم . والعامة تقول تلاشى المريض اي انحطت قوته وقارب الوفاة . اما قولهم « لاشا » بمعنى خس فيذكرنا بقول الفرنسيين بهذا المعنى

تماماً lache

وكثيراً ما تكون افعالٌ من تحت بعض الجمل التداية كقول العامة « ما تيالله » بمعنى « لما ذا لا تمشي » والاصل فيها « يا الله » يقولونها عند الابتداء بالعمل ثم صاغوا منها فعلاً لتحو هذا المعنى ولكنه لا يزال في اول تولده فلم يتكون منه غير هذه الصيغة . هذا ما وصلنا اليه على طريق مقابلة الفاظ اللغة فلتنظر في القسم الثاني من الادلة

ثانياً . استقراء بعض احوال اللغات الاجنبية

وحملها بقياس التمثيل على لغتنا

جمعت اللغة العربية بعد الاسلام بقليل . وأقدم ما لدينا من الكتابات انما هو القرآن . وقد وصل اليها بعض الاشعار المنظومة قبل ذلك الحين بزمن يسير ولا فرق بينها وبين اللغة المجموعة بما يستحق الذكر . وخلاصة القول ان العربية يوم جمعت كانت على جانب عظيم من الارتقاء والتهذيب وقد أجبر المتكلمون بها على المحافظة على نسقها محافظة تامة بحيث ان اللغة الكتابية اليوم تكاد تكون مثل لغة العرب قبل الاسلام على اننا لولا نحافظتنا على كتب اللغة كما سبقت الاشارة اي لو اتبع كل جيل اصطلاحات اهله لامست اللغة العربية الفصحى لدينا الآن لغة غريبة لانهما ولتنوعت وتعددت لغات الكتابة اكثر كثيراً مما هو الواقع في لغة التكلم ولتعذر على السوربين فهم كتابة المصريين والمصريين كتابة المغاربة وبالعكس وبعبارة أخرى لتفرعت اللغة العربية فروعاً يختلف بعضها عن بعض اختلافاً لا يقل عما بين فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية والاطليانية والاسبانية والسويدية وغيرها) ولا اضطررنا في فهم كتابة اسلافنا وزملائنا لدرس اللغة العربية القديمة وفروعها الحديثة كما هو الحال في فروع اللغة اللاتينية . فبناءً على ما تقدم ليس لدينا من المواد ما يعيننا في تتبع أصل الفاظ لغتنا كما يرام فعسى ان يجلي لنا ذلك من النظر الى اللغات الاخرى

معلوم ان اللغة تكون في اول نشأتها وبسط احوالها مؤلفة من الفاظ قليلة العدد كافية لفهام المتكلمين بها بالنسبة لبساطة احتياجاتهم فاذا ارتقت احوالهم واحتاجوا الى كلمات جديدة يعبرون بها عن معان لم تكن في ذهنهم من ذي قبل ركبوا من الكلمات التي لديهم ما يسد عوزهم . وقد يساكون في ذلك مساكاً آخر . فان سكا

المكسيك القدماء لما رأوا السفينة لأول مرة ولم يكونوا يعرفونها قبلاً ولم يكن لها في لغتهم اسم دعوها « اكالي » اي بيت مائي . واهل ميسوري لم يكن عندهم من الادوات الا الصوانية فاول ما جيء اليهم بالحديد والنحاس دعوا الاول « وتاساسبا » اي حجر اسود والثاني دعوه « وتساهيسبي » اي حجر احمر . ولما رأى بعض هنود امركا الفرس لأول مرة دعوه بامفاده « كلب سحري » واخرون دعوه بما هو اغرب من ذلك فقالوا ما تعريبه « خنزير يحمل انسان » ومن غرائب اللغة الصينية تعبيرهم عن قولنا « فضيلة » باربعة كلمات معاً وهي « امانة - شفقة - اعتدال - عدالة » وعن الوالدين بقولهم « اب - ام » . والمكسيكيون اول عندهم بالمعز وضعوا لها اسماً لا بقل غرابية عن تسمية زملائهم الصينيين وهو بلغتهم « كوا كواؤ تنسون » وتعريبها حرفياً « راس شجرة شفة شعر » فقصدوا بقولهم « راس شجرة » القرون و « شفة شعر » اللحية وبعبارة اخرى الحيوان ذو القرون واللحية . واهل ملقا يدعون السهم « اناك بناه » اي ولد القوس ^(١) وفي الفارسية « آب ودانة » المعيشة ومعناها حرفياً « الماء والحب » والاوستراليون يعبرون عن « متفق » بقولهم « غوردوجينيال » اي « قلب واحد اتى » ومن المؤكد ان هذه الكلمات لم يمر عليها بعض السنين من وضعها حتى تصرف المتكلمون بها على طرق مختلفة نحتاً وابدالاً وقلباً بحيث لم يعد تمييزها سهلاً . فكيف يمكنهم بعد ان تبلغ لغتهم مبلغ لغتنا من الارتقاء والتعذيب ان يخطر لهم او ان يحلموا ان تلك المسميات مركبة أصلاً من الفاظ ذات معان مستقلة

والنحت ينزل في تغيير صور الكلمات فعلاً عجيباً يكاد يفوق التصديق . فان المدنجو من قبائل افريقيا الجنوبية كانوا يعبرون عن « اخت » بقولهم « مي بادو دنغو موسو » ومفادها حرفياً « انثى ولد امي » لكنهم نحتوها بالاستعمال فصارت « مبادنوسو » واغرب من ذلك ان زنوج « غريبو » يعبرون عن حاسة الغضب بقولهم « اه يامو كراوودي » اي « قد نأنا عظم في صدري » لكنهم يسرعون في لفظها فتسرع « يا مكروري »

(١) وفي العربية كثير من ضروب هذه التسمية كقولهم ابنة العنب للخمر وابنة الحان لها أيضاً غير ان هذه التسميات حديثة الوضع عندنا . وقد وضعت قنناً في البيان والدليل على ذلك ان هذه المعاني كلمات اخرى مفردة في لغتنا اما في اللغات الاخرى فهي التسمية الوحيدة غالباً

والاغرب من كل ذلك ان سكان جزيرة « فا كوفر » لما شاهدوا رجلاً افرنجياً لأول مرة كان ذا لحية طويلة فوضعوا له في لغتهم اسماً هو « يكيكو كالكوس » ومفادها حرفياً « طويل - وجه - شعر - رجل » ثم حرفوها ونحوها حتى صارت « يكبوس » فتأمل ومثل هذه الامثلة كثير في الطائفة الآرية ومعظمها مركب من كلمات لاتينية او يونانية او غيرها . ومن له الملم في احدى هذه اللغات يعلم ذلك . وناقي هنا بمثل او اثنين فقط للتمثيل فان fortnight الانكليزية منحوتة أصلاً من كلمتين انكليزيتين fourteen night اي ١٤ ليلة و double بالفرنساوية والانكليزية « مضاعف » اصلها من كلمتين لاتينيتين duo plie اي « ضعفين » وكذلك quadruple , triple واخواتهما فانها مركبة من plie المتقدم ذكرها والاعداد اللاتينية quatuor, tre, الخ . والاصول النعلية المركبة هي اكثر كثيراً في هذه اللغات ولما تجد فعلاً غير منحوت من اصلين فاكثر الواحد في الغالب فعل والآخر اداة . وهذا النوع من التركيب خاص بهذه الطائفة وهو اشتهر من ان يذكر لكنا نذكر هنا مثلاً واحداً يبين مقدار ما وصل اليه هذا التركيب : ركب اللاتينيون من vox « صوت » سلسلة افعال واسماء . منها vocabulum كلمة revocabulum قابل النقص و irrevocabilis غير قابل النقص وقس عليه .

ومن طرق التعبير في اخوات العربية ما ربما يلقي على بحشنا نوراً فان العبرانيين يعبرون عن قولنا « فكرر » بقولهم ما تعرييه « قال في قلبه » وعن « عائلة » بقولهم « بيت أب » فجميع هذه الكلمات المركبة يمكن ان تنحط بالاستعمال الى كلمات مفردة لايسهل تتبعها الى اجزائها المولدة هي منها

هذا ولا يخفى ان قسماً عظيماً من الافعال العربية اصلها اسماء جامدة ربما كانت في الاصل اعجمية معربة والغالب فيها ان تكون رباعية كقولهم « فلسف » وتلفس الرجل تحكّم (من الحكمة) وتحذق بالشيء والاصل فيها كلمة يونانية هي philosophia الفلسفة وهذه مركبة من اصلين philia حب و sofia الحكمة . وأمثال هذه الكلمات كثيرة في العربية واكثرها مأخوذ عن الفارسية او اليونانية او اللاتينية . واللغة لا تنفك عن الاستعارة في كل آن وزمان فان العامة لقول « ستف » بمعنى رتب صفوفاً بعضها فوق بعض وهي لفظة كثيرة الاستعمال بينهم ولا نرى لها ذكراً في

كتب اللغة فالظاهر انها معربة من stow التي هي و stuff من اصل واحد فيرجح ان عامتنا اخذت هذا الفعل عن الانكليز . ولو حصل ذلك قبل ان جمعت اللغة لكانت هذه اللفظة معدودة الآن بين الالفاظ العربية ولما تجرانا على القول بأنها مأخوذة عن لغة اعجمية . فما المانع من حصول مثل ذلك في اللغة قبل ان جمعت وهي اذ ذاك اكثر قبولاً لمثل هذه الاستعارات نظراً لاحتياجها الى الالفاظ ولانها لم تكن مدونة محدودة محظورة على اهلها استعمال الالفاظ الاعجمية

وفي اللغة العربية الفاظ تعد من اعرق الكلم في العروبة وما هي منها في شيء . من ذلك لفظ « النبي » بمعنى الرسول ونحوه فقد شقها صاحب القاموس من « نبأ » وما في معنى هذا الفعل ما يدل على النبوة الا ان يقال بتجليه في مشتقاتها مثل تنبأ وتنبأ وتنبأ فان فيها معنى الاخبار . ويلوح لنا ان هذه المعنى مكتسب من لفظ النبي اي انها مشتقة منه واما هو فيغلب في اعتقادنا انه مصري قديم مركب من لفظين « نب » و « ي » ومعناها معاً رئيس البيت او شيخ العائلة . والظاهر ان اليهود اقتبسوا هذه اللفظة من المصريين القدماء اثناء سكناهم مصر واستخدموها اولاً لهذا المعنى فسماها بها الآباء الاولين (راجع المزامير ١٠٥ : ١٥) ثم اطلقوها على الانبياء كافة . واخذها عنهم العرب لهذا المعنى كما اخذوا غيرها من الآداب الدينية قبل الاسلام . وكان اليهود يسمون النبي قبلاً « الرائي » يريدون به الذي يرى الغيب

ومنها « السراب » وهو ما تراه نصف النار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وقد شقها القاموس من « سرب » الماء جرى فقال « سمي بذلك لذهابه على وجه الارض » - وهي كلمة فارسية مؤلفة من « سير » مملو و « آب » ماء اي « مملوء ماء » وهو المراد بالسراب

ومنها « الملك » واحد الملائكة فانه لفظ عبراني الاصل بصيغة اسم المفعول من هالك ارسل ومعناها الرسول وهو المراد بها في العربية . وقد شقها صاحب القاموس ايضاً من آلك « العربية » . ومن هذا القبيل الفاظ كثيرة اصلها اعجمي وقد تعربت ونسي اصلها واخلاصة اننا نستدل من امكان تجريد قسم عظيم من الاصول الثلاثية الى اصول ثنائية نحكي اصواتاً طبيعية ومن كون الفاظ اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظاً ومعنى على ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها الى اصول ثنائية احادية المقطع نحكي اصواتاً طبيعية

القضية الرابعة

ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد
أو بضعة الفاظ

ان الالفاظ المطلقة هي التي يمكن الدلالة بواحدة منها على أي نوع من
الموجودات كما سبقت الاشارة وهي تشمل الضمائر واسم الاشارة واسم الموصول
ويرى الباحث المتأمل في أحوال هذه الالفاظ في لغات مختلفة انها تكاد تكون
واحدة في جميعها وانها من الادلة الواضحة على وحدة الاصل فيها . وتحسن الاشارة
عند الاقتضاء الى اوجه المشابهة بينها لعلها تسعفنا في تتبع الاصل المتفرعة عنه
كل هذه الفروع . سنتوخى في ذلك الاختصار بقدر الامكان

فلنبحث أولاً في الضمائر ولنرسمها في كل من اللغات السامية للمقابلة

اذا امعنت النظر في الجدول الاتي رايت الضمائر تتميز بعضها عن بعض بالعدد
والجنس والشخص وان تميز العدد قائم بزيادة ميم للمذكر ونون غالباً للمؤنث لكنها
لا تقع تحت حكم قاطع اذ انهما يتبادلان في احوال جمّة وهي واحدة في السريانية
والقياس يقتضي ان تكون الميم في العبرانية للمذكر والنون للمؤنث لكن هذه
الاخيرة كثيراً ما وردت في مكان تلك وليست هي في كل حال الاً مميزاً للعدد
لادخل لها في مادة الضمير لانها تستعمل حيثما احتيج للدلالة على الجمع سواء كان
في الاسم او الفعل او غيرها كما مر

واما مميز الجنس ويحصل به التمييز بين المذكر والمؤنث فانه قاصر في الغالب على
الحركات كما تقدم . ويتضح ذلك جلياً في النعوت التي تؤنث وتذكر فاننا بقولنا

تنبيه اول ترى في الجدول الذي يلي ان النون في مطلق المخاطب في السريانية
تكتب ولا تلفظ ويعبر عن ذلك برسم خط تحتها والكاف في السريانية والعبرانية تلفظ
غالباً خاءً . تنبيه ثان . ترى ايضاً ان هذه الضمائر ليست كل ما يستعمله القوم
بل هو الاكثر وروداً

« حسن » و « حسنة » لا يميز بين الجسدين إلا بالفتح المسند بالتاء التي تلفظ هاء عند الوقف . والارجح ان اصل التأنيث في العربية ان يكون بالالف مقصورة او ممدودة كما تعلم والعبرانيون يؤثثون بالفتح المسند بالهاء وهي ثقلب تاء عند التحريك اما في السريانية فتسند هذه الفتحة غالباً بالالف . هذا ما يقال عن النعت اما سيف الاسماء فقد تكون التاء علامة التأنيث وقد تكون هذه اوتلك تبعاً لمقتضيات العوامل الأحركة فانها من الفتحة فما دون الى الكسرة . وقد غلبت الكسرة في بعض الضمائر علامة للتأنيث وقد اشبهت سيف بعض الاحوال حتى كتب باء كما في « هي » العربية والسريانية

فتمييز العدد والجنس ليس اصلياً في اللغة وقد مرّ في شرح القضية الثانية ما يكفي من هذا القبيل واضيف الى ذلك ان العبرانيين كثيراً ما استعملوا ضمير الغائب المذكر لكلا الجنسين وخصوصاً في اقدم كتابات القوم . وربما لوحظ هذا الامر في اكثر اللغات اول نشأتها فان معظم لغات البشر لا تميز في ضمائرها بين المذكر والمؤنث الا في ضمير الغائب . لان المتكلم عن شخص غائب يحتاج الى تعيين جنسه اما المتكلم عن شخص حاضر فقلما يحتاج الى مثل ذلك واذا تكلم عن نفسه كان في غنى عن تعيين الجنس على الاطلاق

اما تمييز الشخص فانه أقدم في اللغة . وهناك ملاحظة لا بد من ايرادها قبل الشروع في البحث عن مميزات الشخص اعني النون الملحقة في اوائل الضمائر والظاهر انها عارضة عليها بدليل وجودها في الجميع على السواء اما مؤداها فيصعب الحكم في شأنه على اني لا ارى مانعاً في كونها تفيد التوكيد او التعريف . وربما كانت واث التوكيدية من اصل واحد فان النون او الميم في اللغة المصرية القديمة هي اداة للتعريف والتوكيد معاً كما مرّ

واذا شوهد بين هذه الضمائر ما هو خالٍ من هذه النون لاسيما المختص منها بالغائب فلا يعتد به اذ لا يخلو انها لم تدخل عليها او انها دخلت وفقدت كما جرى بها في ضمير المخاطب في العبرانية . على ان الاصل على ما اظن وجود النون في جميعها كما هو الحال في اللغة المصرية القديمة . اما العربية فقد حفظت النون في جميع الضمائر الا الغائب والسريانية حفظتها كالعربية لكن خطأ لا لفظاً

اما الطائفة الآرية فلا اثر لهذه النون في ضمائرها ولعلها كانت قبلاً وذهبت منها

وقد تركت الميم m في ضمير المتكلم اثرًا يشير الى سابق وجودها
فاذا جردنا الضمائر من مميزات العدد والجنس والنون الزائدة يتضح ان الاصل
المختص بالتكلم على اطلاقه مقطعٌ حلقي محصور بين الياء والكاف فانه « انا » او
الياء في العربية والسريانية و « انكي » تلفظ « انخي » في العبرانية و anok
او a في المصرية القديمة و « انكو » او « يا » او « ا » في الاشورية و ego في
اللاتينية و ego و egon في اليونانية و aha او ahom في السنسكريتية و i
في الانكليزية و ich في الجرمانية . فترى انك اذا جردت النون حيثما وجدت يبقى
الضمير مقطوعاً محصوراً بين الياء والكاف

اما ضمير الرفع المتصل في العربية واخواتها فهو التاء وهذه مبدلة من الكاف وقد
اشرنا في ما تقدم الى وقوع الابدال بين هذين الحرفين نظراً لتقاربهما في حكاية
الصوت ويؤيد ذلك ان هذه التاء لا تزال كافاً في اللغة الاشورية فقد كان الاشوريون
يقولون « سَكنك » بدلاً من قولنا « سكنت »

وقد رأيت ان المقطع الحلقي المختص بالتكلم فقد من العربية والسريانية في
المفرد لكنه لم يزل محفوظاً في الجمع « حاء » في العربية « نحن » وفي السريانية
« حنن » اما في العبرانية فقد رأيت انه حفظ في المفرد والجمع لكنه فقد من هذا
الاخير في أزمنتها المتأخرة فان ضمير المتكلمين كان في العبرانية في اول ازمانها
« انخو » ثم بكثرة الاستعمال اسقطوا لفظ الحاء احياناً فقالوا « انو »

وزعم بعضهم ان النون هي الاصل في ضمير المتكلم اعتماداً على تغليبها في جمعه
وعندنا ان هذه انما هي نون الجمع وان وجدت وحدها في بعض الاحوال لان
الحاء او ما يقاربها نظراً لكونها من الاحرف الحلقية فهي سريعة الزوال . ومع ذلك
فانك تراها ثابتة في الضمائر المنفصلة المختصة بالتكلم في سائر اللغات الشرقية الا في
المفرد من العربية والسريانية وقد بطل استعمالها في سائر الضمائر المتصلة لفظاً وخطاً
لكنها قد تظهر خطأ في بعض احوال التصريف في السريانية

اما الداعي لكون me او احد تنوعاتها ضميراً مفعولاً للتكلم المفرد في
اللغات الآرية فغير معلوم وربما كانت هذه الميم مبدلة من النون الزائدة كما سبقت
الاشارة . اما المقطع الحلقي الذي قلنا انه الاصل المختص بضمير المتكلم فقد فقد

من هذه الطائفة كما فقد من الجمع في غيرها لكنه ترك أثراً يشير الى سابق وجوده مرافقاً لهذه الميم مثل *mih* في اللاتينية فانها ضمير المتكلم المفرد في حالة الجر تلفظ «ميكى» فينتج مما تقدم ان الاصل في ضمير المتكلم على اطلاقه مقطع حلقى محصور بين الياء والكاف وانه اكثر ظهوراً في المفرد . اما في الجمع فالتون اكثر وروداً في اكثر اللغات الشرقية والآرية لكنها ليست من اصل الضمير بل هي نون الجمع اما ضمير المخاطب فاذا جرد من مميزات العدد والجنس ومن التون الزائدة انضح جلياً ان الاصل فيه التاء او احد تنوعاتها . واذا اعدت النظر الى الجدول رأيت التون الزائدة في هذا الاصل غير ثابتة في جميع اللغات الشرقية على السواء فانها في « أنت » مثلاً تكتب وتلفظ في العربية (وهكذا في الكلدانية والمصرية) وتكتب ولا تلفظ في السريانية ولا تكتب ولا تلفظ في العبرانية وبناءً عليه فلا يعتمد عليها متى وجدت وانما الاعتماد في المخاطب على التاء فهي الاصل في جميع اوجه تصريفه ويؤيد ذلك حالته فيما بقي من اللغات فانها التاء او احد تنوعاتها في سائر اللغات الآرية فهي في اللاتينية *tu* وفي اليونانية *su* والسين تبدل تاءً وبالعكس كما رأيت (وفي الفرساوية *tu* واخوانها وفي الانكليزية *thou* وفي الجرمانية *tu* او *du* وفي السنسكريتية *tua* وفي الفارسية « تو » . ومثل ذلك في ما بقي من اللغات السامية والمصرية . ففي الاشورية « أتا » وفي الكلدانية « انت » وفي المصرية القديمة *entuk* وفي القبطية *ntok*

اما الكاف في ضمير النصب المتصل فببدلة من التاء وقد رأيت عكس ذلك في تاء المتكلم . وزد عليه ان المصريين القدماء قد ابدلوا ضمير الرفع المتصل كافاً ايضاً فهم يقولون مثلاً « قتلَكَ » بدلاً من « قتلْتُ »
والخلاصة ان الاصل في ضمير المخاطب التاء فذكرت وانشئت وجمعت وتنوعت تبعاً لما اقتضته احوال الناطقين بها

اما « هو » ضمير الغائب فالاصل فيه الهاء كما يظهر من مقابلة اللغات السامية ومثل ذلك في اللغات الآرية فهو في اليونانية *i* وما يركب منها وفي اللغات الجرمانية *hua* و *hu* و *hue* و *ho* و *he* و *hei* وفي الفارسية « وي »

فبناءً عليه يرجح ان الهاء هي الاصل في جميع احوال ضمير الغائب فقد اُنشئت

بالكسر فصارت « هي » وجمعت بالميم او النون فصارت هم او هن الخ . والقضية لا تحتاج الى زيادة ايضاح

اسم الإشارة واسم الموصول

واسماء الإشارة مرجعها الى مقطعي « ها » و « ذا » ومنهما يتركب « هذا » و « هاته » و « ذاك » و « تلك » و « ذينك » و « تينك » وما شا كل ^(١) . ومنهما أيضاً نشأ اسم الموصول فان « أل » الموصولة والتعريفية من المرجح عندي انها ماخوذة عن « ها » بدليل كون هذا المقطع هو وحده اداة التعريف في العبرانية . علي ان نحوي اللغة العبرانية يقولون بوحدة الاصل في « أل » المشار اليها في اللغتين العربية والعبرانية وبناء على هذا القول زعموا ان الاصل في الاداة العبرانية « هل » قياساً على العربية وقالوا ان اللام لا تظهر خطأً وانه يعوّض عنها لفظاً بتشديد الحرف الاول من الكلمة الملحقه هي بها فاذا أرادوا تعريف בית (بيت) مثلاً قالوا בית (هبيت) بالحاق الهاء محركة بالفتح في اوله وتشديد الباء فتعليلاً لمذهبهم يقولون ان اللام تدغم بالحرف الاول ويعوض عنها بالتشديد وعندي انهم اصابوا بوحدة اصلها ولكن ربما لم يصح زعمهم بان الاصل في كليهما (هل او ال) اذ ان اللام لم تظهر في العبرانية لا لفظاً ولا خطأً الا في كلمة واحدة وهي اسم موصول اعني בית (هلزي) وهذه قليلة الورد جداً في كتاباتهم فالارجح عندي انها ماخوذة من العربية اذ انها والاسم الموصول « الذي » شيء واحد لفظاً ومعنى . اما التشديد المرافق لاداة التعريف في العبرانية فربما قصد به التاكيد او توضيح الإشارة وبناءً عليه يرجح ان الاصل في « ال » العربية « ها » التنبيه كما هو الحال في العبرانية اما اللام فقد دخلت عرضاً لاسناد الحركة واللام كما لا يخفى من الاحرف (ل م ن ر) التي كثيراً ما تدخل في اللفظ اسناداً للحركة او مقطع كما مر

ومن الآثار التي تدل على سابق استعمال « ال » للإشارة قولهم « اليوم » و « الساعة » بمعنى هذا اليوم وهذه الساعة . ومن الواضح ان التعريف انما هو ابن الإشارة لان

(١) يظهر ان كاف الخطاب الملحقه في اواخر هذه الاسماء مأخوذة من ضمير المخاطب ويؤيد ذلك انها تنوّ وتجمع مثله فيقال تلك وتلكا وتلكم وذلك وذلكم الخ

أبسط طريقة لتعريف امر ما تقوم بالاشارة اليه . ويؤيد ذلك ان « ذا » التي هي اسم اشارة كما لا يخفى قد استعملت ولا تزال تستعمل للتعريف والموصول في قسم عظيم من اللغات السامية فان ذي في اللغة البابلية و « ذ » او « د » في اللغة السريانية هي الاداة الوحيدة للموصول والتعريف والاشارة ولا ريب ان « د » السريانية هي بقية « ذي » البابلية فلم يستعمل بنوطي « ذو » للموصول عبثاً . وما قولنا « الذي » الآحجة دامغة على ان الموصول انما هو ابن الاشارة

وانا في الانكليزية the و this و that من اصل واحد الاولى للتعريف والثانية للاشارة والثالثة للاشارة والموصول
فثبت مما تقدم ان اسماء الاشارة والموصول هي في الاصل من اصل واحد مؤلف مقطعين (ها) و (ذا) او الهاء والذال

فهل من علاقة بين هذا الاصل والضمائر

قلنا ان التاء هي الاصل في مطلق المخاطب فنسبتها لذال الاشارة لفظاً لا تحتاج الى دليل لان الدال والذال والتاء والسين والشين كثيرة التبادل بعضها من بعض كما تقدم وهذا التبادل جارٍ معظمه قياساً في الادغام كما لا يخفى . ويظهر باجلى وضوح في اللغات الآرية فان الكلمات المشتركة الاصل المستعملة في لغات مختلفة منها تؤيد قولنا لانا نرى ان D في اللاتينية تبدل T في الانكليزية و z في الجرمانية نحو Decem عشرة و Domare داجن فانهما في الانكليزية ten و tame وفي الجرمانية zahn و zehن والفرنساويون يكتبون tion ويلفظونها sion وعندهم elider و elision من اصل واحد . ومن قواعد اللفظ في اللغة اليونانية ان التاء متى وقعت بعد النون تلفظ دالا وامثال ذلك كثيرة

فبناءً عليه لا يكون ثم مانع في وحدة الاصل لفظاً

اما وحدته معنى فمرجحة ايضاً لان الدلالة المشتركة بينهما هي الكون المطلق فالظاهر ان هذا هو الاصل في جميع تنوعاتهما لانه يبدل عليه في جميع لغات البشر بالتاء او احد تنوعاتها كما سبقت الاشارة . فان هذه التاء تتضمن معنى الكون المطلق في

(ايت) السريانية ويش العبرانية وايس العربية و est اللاتينية و es اليونانية و ايت التركية وهذه متى تحركت ثقلب دالاً . و in وفي المصرية القديمة تستعمل بمعنى on في الفرنسية . ثم ينقل معناها من الكون المطلق الى ما يقاربه اعني الذات وهي تطلق على كل موجود فنقوم مقام اي نوع من الموجودات حسباً كان او عقلياً وهي ذات في العربية ربما كانت مركبة من ذا (وايت) an (ات) في العبرانية و e (يت) في السريانية و (أت) في الكلدانية و idem في اللاتينية و autos في اليونانية و tes في المصرية القديمة . ثم تدرج معناها من الدلالة الذاتية المطلقة الى الاشارة المطلقة وهذه في العربية (ذا) وفي العبرانية an (زه) وفي السريانية (دا) وفي الاشورية (سو) وفي اللاتينية is وفي اليونانية De او ide وفي الفرنسية ce وفي الانكليزية this او that وفي القبطية te وفي المصرية القديمة tai . ومن الاشارة المطلقة نشأت الاشارة الى كل مسمى واداتها في العربية شيء وفي الفرنسية chose وفي الانكليزية thing وقد حصل اثناء هذا الانتقال المعنوي تنوعات لفظية فخصصوا بعضها للدلالة على القسم الاهم الاعظم بين الموجودات اعني الانسان فهو يدعى في العربية انس وفي العبرانية ايش وفي السريانية نش وفي المصرية القديمة se وخصصوا البعض الآخر بالدلالة الاشارية للمخاطب فقط فوصلت اليها على هيئة ضمائر وقد تكلمنا عنها بالكفاءة . وقد تنوع من اسماء الاشارة الموصولات واحرف الاضافة فالاولى قد تكلمنا عنها ما يكفي اما الثانية فلها في العربية « ذو » ومشتقاتها وفي العبرانية ايش وفي السريانية (د) وفي بعض اللغات الآرية De وتنوعاتها

فبناءً على كون ضمير المخاطب واسماء الاشارة والموصولات هي جميعاً الفاظ مشتركة الدلالة وكونها قابلة التعويض بعضها عن بعض في اللغة الواحدة وكونها متقاربة لفظاً في سائر لغات البشر يرجح انها في الاصل لفظة واحدة بمقطع واحد . ونظراً لكون التقارب اللفظي يحددها في الاحرف السنانية يرجح ان ذلك الاصل هو التاء متحركة وان الاصل في دلالتها الكون المطلق وان منها تولدت جميع هذه التنوعات لفظاً ومعنى تبعاً لناموس الارتقاء العام

وقد اخترت التاء من بين اخواتها لانها الاسهل لفظاً ولا يصعب على ناطق التلظ

بها وقد تقدم انها موجودة في سائر لغات البشر . وعليه يظن ان المقطع الاول الذي يتلظظ به الاطفال انما هو هذا ويرجح ذلك ان (نت) في اللغة المصرية القديمة تنيد قولنا (تكلم)

اما اسم الاشارة (ها) فينه' وبين ضمير مطلق الغائب نسبة قريبة اما لفظاً فلأن الاصل في كليهما الهاء كما علمت واما دلالة فلاننا نقصد بكل منهما ما ليس بالمتكلم ولا بالمخاطب ولم تزل اسماء الاشارة في كثير من اللغات تستعمل حيثما نستعمل نحن ضمير الغائب ولا ارى لزوماً لتعداد البراهين على صحة ذلك وهناك امر آخر لا يخلو ذكره من فائدة اعني ان بين كاف المتكلم وتاء المخاطب وهاء الغائب نسبة قريبة لنظية ومعنوية كما لا يخفى

وجملة القول يرجح كل الترجيح ان الالفاظ المطلقة مها تعددت اشكالها ودلالاتها لا تخرج عن كونها ناشئة من لفظ واحد او بضعة الفاظ من جملتها التاء والله اعلم

القضية الخامسة

ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً
للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهه في
الصور الذهنية

معلوم ان في اللغة قسماً عظيماً من الفاظها ولا سيما الافعال مما يستعمل للدلالة الحسية والمعنوية على السواء فبقولنا « فصل » قد نقصد الدلالة الحسية نحو « فصل زيد الشيء » اي قطعه وابانه . او المعنوية نحو « فصل الحكم الخصومات » او « فصل المولود عن الرضاع » اي قطعه . فلا يخلو ان تكون احدي هاتين الدالتين اصلية حقيقية والاخرى فرعية مجازية . وعندني ان الدلالة الحسية هي الاصل والمعنوية الفرع حملت مجازاً لتشابه في الصور الذهنية لان المحسوسات اول ما تستلفت انتباه الانسان وهي سابقة في ذهنه على المعنويات لانه في ابسط احوال عيشه لم يكن في احتياج الا للمعاني الحسية ففي اول استعماله « قطع » لم يكن يريد بها

الأقطع الحسي لكنه بعد ان ارتقى في الحضارة وارتقت تصوراته حدثت له معان جديدة بينها وبين القطع مشابهة ذهنية كقولنا « قطع في الامر » اي جزم « وقطع الحوض » اي مالة الى نصفه ثم قطع الماء فجعلها عليها مجازاً . ويؤيد ذلك حالة اللغات الدنيا فانها نقل فيها الدلالة المعنوية كلها المخطت الى ان تصل الى ما يكاد يخلو منها بالكلية . ولا يخفى ان هذا التحويل جار في لغتنا الان ولن يزال الى ما شاء الله

فمن الالفاظ ما قد خسر الدلالة الحسية بالكلية نحو قولنا « قضى » بمعنى حكم والاصل فيها القطع الحسي وشي من سلسلة « قضى » كما تقدم . ومنها ما لم يزل يستعمل لكليهما نحو « عقل » بمعنى فهم ما خوذة من عقل الناقة اي ربطها . و « ادرك » الاصل فيها البلوغ الحسي فيقال ادرك فلان الفرس اي لحقه . و « بلغ » وضعت اصلاً للدلالة على الوصول الحسي فقط كقولهم « بلغ فلان النخلة » اي وصلها وقد استعملت كما استعملت « أدرك » . والاصل في معنى الفصاحة قولهم « فصح اللبن » اذا ذهب رغوته ثم قيل فصح . وأصل « الرأي » من رأى وهكذا الرؤية . وكذلك الحال في « عرف » فان اصلها من « العرف » اي الرائحة . ومنها ما هو في اول انتقاله نحو « قطع » و « ملا » والاصل في هذه الاخيرة الملء الحسي كالماء وما شا كل وقد استعملت مجازاً فيقال « ملاً فلاناً على الامر » اي ساعده وشايعه و « هلك » بمعنى مات وفقد والاصل في معناها « الذهاب » وهي كذلك في سائر اللغات الشرقية . و « الشتاء » مأخوذ من « شنا » في السريانية اي شرب فاستعملت اولاً لري الارض بالمطر ثم اطلقت على المطر عينه ومنه تحول معناها الى الفصل الذي يحصل فيه المطر . و « غرب » الاصل في دلالتها النزول لانها في الاشورية « عرب » ومعناها نزل ومنها غربت الشمس اي نزلت

وقد تنوع دلالات الالفاظ على طرق مختلفة تبعاً لتصورات الناطقين بها وتنوعها فاذا اختلف رأيهم في شان فذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب سلفاؤهم احتاجوا للتعبير عن هذه التصورات الحديثة الى الفاظ حديثة . فهم في مثل هذه الاحوال يأخذون من الالفاظ ما يقرب دلالة مما يحتاجون اليه فتبقى هذه الالفاظ اثراً يشير الى ما كان عليه سلفاؤنا من الآراء الامر الذي ربما لا يتيسر للتاريخ الاتيان به كقولنا « شهر » التي يستعملها كل منا باجلى وضوح ولا يخشى وقوع الالتباس حتى ان ابسط العامة لا يخطئون فهمها . على اننا اذا بحثنا عن اصلها نرى انها كانت تدل

في الاصل على « قمر » اذ انها في السريانية « سهر » بالسين بمعنى قمر اما في العبرانية فتستعمل لما نعبر عنه بقولنا « مستدير » . وقد وردت في التوراة مرة على صيغة الجمع بمعنى اقمار صغيرة او اكاليل . وجملة القول يستدل مما تقدم ان اسلافنا الاولين كانوا يعتمدون على الاشهر القمرية في حساباتهم فدعوا الشهر القمري باسم القمر ثم لما تقدموا ووضعوا الاشهر الشمسية استعاروا لها ما كانوا يستعملونه للاشهر القمرية وترانا الآن لا نعلم عن لفظة « شهر » الا انها وضعت للدلالة على جزء من اثني عشر جزءاً من السنة الشمسية وامثلة ذلك كثيرة في العربية وخلاصة القول بكاد لا يوجد كلمة واحدة الا واستعملت للدلالة المعنوية وذلك دليل كاف على ان قابلية المعاني للانتقال هي كقابلية الالفاظ للابدال

النتيجة

ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول قليلة احادية المقطع
معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية
وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي
ينطق بها الانسان غريزياً

بناءً على ما تقدم برهانه من ان الالفاظ المقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات اصل واحد . وان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها . وان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية تحاكي اصواتاً طبيعية . وان الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد او بضعة الفاظ . وان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية — ارجح كل الترجيح . ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول قليلة احادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً ، و من

هذه الاصول نشأت ونمت حتى بلغت ما هي عليه الآن بتركبها وتنوعها بين نحت وقلب واستعارة سداً لاحتياجات الانسان وجرياً على ناموس الارتقاء العام .
وايضاحاً للموضوع آتي المسألة عن طريق الاستقراء فاقول

هل اللغة ضرورية توقيفية ام هي مكتسبة اصطلاحية

كونها ضرورية يقتضي كونها حاصلة بلا اكتساب ونظر وكونها توقيفية يقتضي كونها ثابتة البناء والدلالة غير قابلة للتغير والانفعال شأن كلاً هو توقيف منه تعالى والواقع خلاف ذلك فاننا لا ننطق الا بما نسمعه من الذين حولنا ونحن لا نتكلم بالعربية الا لاننا نشأنا بين قوم يتكلمونها . ولو اتفق اننا ريننا بين اليونانيين وكانت اليونانية لغتنا او بين الهنود فالهندية . ومن الجهة الاخرى لو قدر لنا النشوء بين الحيوانات المعجم لكنا عجماء . واللغة كما هو معلوم عرضة للتغير والانفعال نحتاً وابدالاً وقلباً واستعارة فاستفاهم به الآن يختلف دلالة ولفظاً عما تفاهم به آباؤنا وما سيتفاهم به ابناءؤنا . وقد حدث من اللغات ما لم يكن في سالف الزمن كاللغات المتفرعة من اللاتينية والسنسكريتية — فلو كانت اللغة توقيفية لاقتضى بهاؤها على ما هي . ولا يقال ان هذه الفروع حدثت توقيفاً لانها قابلة الرد بالاستقراء تاريخياً الى اول ازمة نشوءها او بالحري تفرعها و كل ذلك جرى بموجب نواميس عامة قابضة على زمام كل ما حولنا من النظام والحياة واعمالها

وحجة القول ان اللغة مكتسبة اصطلاحية والقضية واضحة جلية . ولزيادة الايضاح اذكر ما قاله العلامة ابن خلدون في أثناء كلامه في تفسير الذوق قال « فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعراباً وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي انها جبلة وطبع . وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه »

وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرائي في أثناء كلامه عن اصل اللغة « ان ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والتممة من الله » وقال السيوطي « ودليل امكان الاصطلاح

ان يتولى واحدٌ او جمعٌ وضع الالفاظ لمعانٍ ثم يفهموها لغيرهم بالاشارة كحال
الوالدات مع اطفالهنَّ .

الطريقة الطبيعية للتكلم

(التفاهم)

فلنتصور الانسان في اول ادواره يطوف الحقول والغابات عارياً او نصف عارٍ
يلتقط ثمر الارض وبقلمها فاذا جنَّ الليل أوى الى كهف او مغارة او تسلق شجرة
يلجأ اليها خوفاً من هجمات الوحوش الضارية فاذا أصبح خرج يسعى وراء رزقه يلتصمه
بالاجتهاد . واجتهاده انما هو التفتيش عن شجرة ذات ثمر ياكله او حيوان يرميه بحجر
فيقتله ويتناول لحمه لا يمتاز في ذلك عن الحيوان الاعجم . الا انه ما لبث ان اضطر
الى الاجتماع وهي مزية خص بها الانسان . والسبب في ميله الى الاجتماع قصوره عن
مقاومة طوارئ الطبيعة ودفع غائلة الوحوش الضارية منفرداً فعكف على التعاون
والتعاقد وهو الاجتماع . فلما اجتمع اضطر الى تبادل المعاني والمقاصد وهي الغاية
المقصودة بالاجتماع فساقه ذلك الى التفاهم فندرج فيه من الاشارات الى الاصوات
فالالفاظ فالجمل كما سترى

فيظهر مما تقدم ان ضعفه هو الذي ساقه الى التكلم ورب معترض يقول ألعنَّ
الضعف خاص ببني الانسان حتى اضطر وحده الى الاجتماع فترتب على اجتماعه نشوء
اللغة والعمران . نقول ان بين انواع الحيوان انواعاً أكثر ضعفاً منه ولعلها اضطرت الى
الاجتماع غير مرة ولكنها لم تستطع التكلم لقصورها الطبيعي عما امتاز به الانسان من
المواهب الطبيعية جسداً وعقلاً مما يؤهله للنطق وتركيب الالفاظ وايضاح المعاني . على
اننا لا نظن انواع الحيوان الاخرى خلواً من التفاهم بل هو واقع بين افراد النوع
الواحد وبين الانواع المختلفة على اساليب وطرق لم ندركها تماماً اذ ليس من الضرورة
ان يتم التفاهم بالتكلم فقط فقد يتفق ان يتفوق بعض انواع الحيوان الى وسيلة تفاهم بها
غير ما توفق اليه الاخر تبعاً لاستعداد كل منهما كأن تفاهم بحركات جلودها او بحركات
اذانها او اذنانها او ما اشبه ذلك . فلا أنواع الحيوان لغات تفاهم بها ولكنها يجب ان

تكون أدنى من لغة الانسان بنسبة انحطاط قواها العاقلة عن قواه
فلا اضطرار الى الاجتماع اصاب كل انواع الحيوان ولكن الانسان وحده فاز
بغايته منه لاستعداده له ومقدرته على اختراع وسائل التفاهم عن طريق الصوت . ومما
ساعده على ذلك في بادىء الرأي لباقة حركات يديه وارتقاء اوتار صوته لانه قضى
دهوراً يتفاهم بالاشارات وتقليد الاصوات

ولو تدبرت تاريخ اللغة لرأيت المبدأ في نشوئها وارتقاءها راجعاً الى موهبة
جعلها الخالق في الانسان وهي موهبة « التقليد » . فالتقليد اساس اللغة واصل
نشأتها ومدار ارتقاءها . لان التفاهم سواء كان بالاشارات او بالاصوات فهو راجع الى
التقليد لان الاشارات تقليد صور الاشياء او معانيها والاصوات تقليد ما يسمعه
الانسان من الاصوات الخارجية على اختلاف مصادرها . فالتقليد قوة لم تبلغ في نوع
من انواع الحيوان ما بلغت في الانسان وهو تمثيل صورة في ذهن المقلد اكتسبها
من الخارج اما رأساً او ضمناً . ولا غنى له في تقليدها عن استيضاحها في ذهنه مع توفر
الوسائل اللازمة لتمثيلها للآخرين . فالاستيضاح من اعمال العقل والتمثيل من اعمال
اليدين او ما يقوم مقامهما . والانسان اقوى سائر انواع الحيوان عقلاً والبقها تركيباً وهذا
هو سبب تفرد بسعة دائرة التفاهم وتعدد وسائله فتأيد اجتماعه وكان ما كان من
تمدنه وعمرانه . فانشأ المدن والى الممالك والامم وتجرى في الخليفة فوضع الفلسفة
واختلفت آراؤه في سر الخليفة وخالقها فتفرقت المذاهب والاديان والطوائف والنحل
وقامت الحروب فازداد الاحتياج الى الادوات والوسائل المساعدة على تسهيل الغلبة
وتأيد القوة فكانت الاختراعات وما جرى نجرها مما ليس هنا محل الكلام عليه .
وانما يهمننا منه ان الانسان اضطر الى الاجتماع لضعفه فاحتاج الى تبادل الافكار
والمقاصد وهو التفاهم وتمكن بموهبة التقليد الى وضع اساس اللغة . ولاستيعاب الموضوع
نقسم الكلام في تاريخ اللغة الى دورين (١) الدور التقليدي (٢) الدور النطقي

(١) الدور التقليدي

نريد بالدور التقليدي الزمن الذي عبر فيه الانسان عن مقاصده واغراضه
بتقليد ظواهر الاشياء التي يريد التعبير عنها كالدلالة على شبح بتمثيل صفاته كلها او
بعضها . فالأخرس يعبر عن الفرس بمحاولة الوقوف على يديه ورجليه معاً تقليداً للفرس

في مشيه . ومن هذا القبيل دلالة الاطفال على بعض انواع الحيوان بتقليد اصواتها الخاصة بها . فاذا رأى الطفل كلباً وسمع نباحه ثم أراد التعبير عنه فانه يقلد صوت النباح او الهر فيتقلد صوت المواء او الفرس فيتقلد صوت الصهيل وهو انما عمد الى ذلك لجمله اسم كل منها . وهكذا كان الانسان في اوّل ادوار وجوده فقد كان كالطفل المولود حديثاً في العالم يسمع ويرى ولا يتكلم . ولكن لكل من الموجودات المحيطة به صورة في ذهنه حصلت من حال اقتضت بقاءها في ذاكرته اذ قد يكون لكل شيء او واقعة صور كثيرة لا يبقى في الذهن منها الا صورة او بضع صور سبق الذهن الى الاستمسك بها اما لغرابتها او لملازمتها ذلك الشيء دون سواه او لامتيازه بها على سواه من نوعه . فان للفرس مثلاً اوصافاً كثيرة من الشكل واللون والوضع والصوت وما شا كل ذلك ولكننا عند محاولتنا التعبير عنه بالتقليد يسبق الى ذهننا صوت صهيله لانه خاص به . وللرجل مثلاً اوصاف كثيرة يعرف بها ولكن الخرس يعبرون عنه بمرور ايها اليد وسبابتها على الشاربين . والمرأة اوصاف كثيرة ايضاً ولكنهم يعبرون عنها بما تمتاز به عن الرجل اما بالاشارة الى طول الشعر او بالدلالة على خلو وجهها منه او غير ذلك

فينتج مما تقدم ان الدور التقليدي يقسم الى قسمين تقليد الاشكال وتقليد الاصوات فالاول لغة الاشارات وهي لغة الذين لا يستطيعون التكلم لعلّة طبيعية كالخرس فانهم يتفاهمون فيما بينهم وبين غير الخرس بالاشارات فقط . والثاني لغة الاصوات

﴿ التفاهم بالاشارات ﴾ والاشارات نوعان اضطرارية واختيارية فالاشارات الاضطرارية ليست خاصة بالانسان بل تشمل كثيراً من الحيوان ولكنها مقصورة على التعبير عن الانفعالات النفسانية كتقطب الوجه من الغضب او الحزن والابتسام عند الارتياح او السرور وهز الرأس للدلالة على التهديد او التعجب وحنيه على الدل او الخضوع وكدلالة النهوض بغتة على تأثر شديد من فرح او غضب او تعجب . ويروى عن المسترغلا دستون خطيب انكثرا الشهير ان سامعيه كثيراً ما كانوا يقفون بغتة عند سماع خطبه وهم لا يشعرون وقد يسبب الفرح حركات اخرى كالجز او الرقص او الركض وقد يصفق الانسان عند تأثر نفسي بغتي كسماع خبر محزن او الانتباه بغتة الى خسارة وكالعرض على الدبابة ندماً واحمرار الوجه خجلاً واصفراره وجلاً وكالارتجاف رعباً وغير ذلك من الاشارات التي يجربها الانسان عن غير قصد ولكل منها دلالة

خاصة ولكنها قليلة لا تخرج عن حدود الظواهر النفسانية حال حدوثها وتزول بزوالها وهي ليست من التقليد في شيء على انها تساعد في لغة الاشارات اذا نقلها الانسان للدلالة على ما تدل عليها من طبعها . فقد تعبر عن استنكافك من امر بنقطيب وجهك كأنك تقول « اني لا احب ذلك » فتقطيب الوجه اذذاك اشارة تقليدية اختيارية

اما الاشارات الاختيارية فهي التي يجربها الانسان عمداً بقلدها شكلاً اوخاصة من خصائص الاجسام الخارجية للتعبير عنها تعبيراً تقليدياً محضاً كمن يرسم صورة الشيء على الورق للدلالة عليه . ولكن تلك الاشارات قد تتحول بالاستعمال والمزاولة من المعنى الحسي البسيط الى المعنى الرمزي . وليان ذلك نستلفت انتباه القارئ الى لغة الخرس الشائعة بينهم وقد يفهمها سواهم الا ما كان منها قد تحول الى معنى رمزي لا علاقة ظاهرة بينه وبين الاشارة

ف لغة الاشارات وهي لغة الخرس تقسم الى اشارات ذاتية واشارات معنوية او رمزية . فالذاتية كالتعبير عن الشيء بتمثيل اوصافه باليدين فاذا شاء الخرس التعبير عن الصندوق مثلاً رسمه لك بيديه موضعاً طوله وعرضه وعلوه والدلالة على كونه خشباً او حديداً يشير الى مادة خشبية او حديدية من ادوات الممكان الواقف هو فيه . وهذا هو الاصل في لغة الاشارات ولكن الطبيعة لا تقبل البقاء على حال واحدة وناموس الارتقاء العام متخلل سائر اعمال الحياة وهو يقضي بالنمو والتنوع والتفرع على اساليب شتى ترجع الى مبدأ واحد

فالاشارات الذاتية ما لبثت ان صارت معنوية او رمزية بمرور الايام على ان التقليد الذاتي قليل في لغة الاشارات والغالب في التعبير عن الاشباح الخارجية بالاشارة ان يكون بتمثيل صفة من صفاتها او حالة ملازمة لها كما لو اطبق الخرس اصابع احدى يديه وادناها من فمه كأنه يصب ماء فنهم انه يريد « الماء » او « عطشان » او « اسقي » او « أشرب » اما التمييز بين هذه المعاني فهو كول بالقرينة ف لغة الاشارات في هذه الحال لا تزال في ابسط احوالها بعضها تقليد ظواهر الاجسام او بعض احوالها وبعضها تقليد ظواهر الانفعالات النفسية وهي ما دامت على هذه الحال يفهمها كل انسان ولكنها قد تتحول بالتنوع والتفرع الى لغة لا يفهمها الا الذين يدرسونها مثل لغة التكلم . وقد يقع في اشكال الاشارات ومدلولاتها تغيير

وتبديل يشبه القلب والابدال في لغة التكلم من امثلة ذلك ان خرس برلين يقصدون بمحاولة كسر الراس باليد ما هو في لغتنا (رجل فرنساوي) وصغارهم يستعملون هذه الاشارة لهذا المعنى وهم لا يعلمون الا كونها كذا خلقت . وقد ظهر بعد البحث انها مأخوذة عن محاكاة حادثة موت لويس السادس عشر فالخرس قراوا في كتبهم انه مات مضروباً على رأسه فاستعملوا في بادئ الامر اشارة الضرب على الراس كمحاولة كسره للدلالة عليه ثم حملوها تجازاً على كل فرنساوي . وبعض قاطني اميركا الشمالية يعبرون عن قولنا « كلب » بحجر السبابة والوسطى مفتوحين على الارض وباقي الاصابع مقبوضة والناظر لا يرى علاقة بين هذه الاشارة والمعنى المقصود لكنه بعد البحث يرى انها مأخوذة عن حوادث جرت يوم كان الهنود هناك وقت خيلهم فاضطروا لاستخدام كلابهم لحمل اعمدة الخيم فكانوا يحملون كلاً منها عامودين واحداً من كل جانب فيمشي الكلب والعامودان يحبران خلفه فقلد الخرس هذه الحالة بحجر السبابة والوسطى مفتوحتين على الارض وما بقي من الاصابع مقبوض وعبروا بها عن كلابهم . ولم يستخدم الهنود كلابهم لحمل اعمدة الخيم من ذلك الحين اما هذه الاشارة فلم تزل مستعملة عندهم الى الآن للدلالة على اي كلب كان . وهكذا في كثير من اشاراتهم حتى تفرعت لغات الاشارات وحدثت بينها اختلافات لا نقل عمّا بين اللغات السامية . ولم تكن الاصطلاحات المشار اليها السبب الوحيد في ذلك بل هناك امر لا يقل اهمية عنه وهو الخلاف الاتفاقي في اختيار هذه الصفة من المعنى المقصود او تلك اذ قد تقدم انهم يعبرون عن اي معنى بتقليد صفة من صفاته او تشخيص حادثة رافقته اوّل عهدهم به فقد تختار هذه القبيلة صفة وتلك صفة اخرى وقد يتأتى ان هذه تتصور معنى مصحوباً بحادثة لم تخطر على بال تلك . فان هنود اميركا الجنوبية يعبرون عن الماء بقبض كفهم وكبها نحو الارض كانهم يسكبون ماء خلافاً لخرسنا الذين يقبضونها الاّ الابهام ويدبرونها نحو النمل كما أنهم يحاولون الشرب

ويعبر الخرس عن الضمائر وادوات العطف والجروما يشبهها وعن حركات الاعراب بتقديم بعض الاشارات او تأخيرها او غير ذلك من الطرق التي لا تقع تحت الحصر

فترى مما تقدم ان لغة الاشارات ايضاً دورين احدهما تقليدي والاخر نطقي

مثل لغة التكلم ولولا صعوبة التوسع في لغة الاشارات لامتناع التفاهم بها ليلاً مع مشقة استخدام اليدين في التكلم لشاعت وكانت هي لغة البشر وتفرعت الى لغات كثيرة مثل لغات النطق الآن . لان الانسان في اول ادواره كان يتفاهم بالاشارات والاصوات التقليدية معاً ويتوالي الاجيال ارثقت لغة التكلم وتفرعت فبقيت وبادت لغة الاشارات ولم يبق منها الا اثر عند الخرس الذين لا يستطيعون النطق . وطبيعي في الخليقة ان يبقى الانسب

(التفاهم بالاصوات)

(الاصوات الطبيعية) نريد بالاصوات الطبيعية الاصوات الجارية في الطبيعة وهي اما ان تحدث عن تفاعل القوى الطبيعية كاصوات الرعد وهبوب الريح وسقوط المطر وتصادم الاجسام الجامدة كالحجارة وغيرها . او ان تحدث عن العالم الحي كاصوات الحيوان على اختلاف انواعه كصهيل الفرس ونقيق الضفدع ومواء الهر وما شاكل ذلك

فتقسم الاصوات الطبيعية بهذا الاعتبار الى اصوات حية واصوات غير حية :

(فالاصوات الحية) تقسم الى اصوات الانسان واصوات الحيوانات الاخرى واصوات الانسان اما اضطرارية او اختيارية والاضطرارية هي التي يحدتها الانسان عن غير قصد او روية ويراد بها التعبير عن الانفعالات النفسانية وشأنها في ذلك شأن الاشارات الاضطرارية . وهي اما « عتمية » كالاصوات التي يخرجها الانسان عند الانفعالات النفسانية ولا تتميز فيها المقاطع كالانين والعنين والاحيج وهي اصوات المتوجعين والمغمومين . والهمهمة وهو الصوت الحاصل من تردد الزفير هماً او حزناً . والزحير او اخراج النفس بشدة عند عمل شاق . والدحيم او النهم وهو شبه انين يخرج به العامل المكدود فيستريح اليه

وإما « مفصحة » وهي التي يخرجها الانسان عند الانفعال النفساني وقد تتميز فيها المقاطع كقولنا آه للتعب أو التحسر وأوه للتوجع وأوف للاشمئزاز او الضجر وآخ للانبساط وأر للغضب والتألم وبش للاستحسان وشه لعدم الاستحسان ووي للتأوه وقهقهه صوت الضحك وغير ذلك

والاصوات الاختيارية هي التي يخرجها الانسان او غيره من الحيوان بقصد مثل
تف حكاية صوت الباصق وأف حكاية صوت النفخ ووه حكاية صوت الزفير الاغتصابي
وقس على ذلك اصوات الصفير والتصفيق والنخضة والفرغرة والسعال والعطاس والشخير
والغطيظ والجشاء وما شاكل ذلك

اما اصوات الحيوانات الاخرى فكثيرة جداً اذ لكل حيوان من ذوات الاصوات
صوتاً يعرف به كمواء السنور وعواء الكلب وصرصرة البازي ونباح الكلب وصهيل
الفرس وخيخ الافعى ونيب التيس

اما (الاصوات غير الحية) فاكثر من ان يحصيا عدد كقططة الحجارة وقمعة الرحي
وجمعتهما وطنطة الجرس ورش الماء ودوي الرعد ومن هذا القليل قط حكاية الصوت
القطع واط حكاية صوت اللطم وفش حكاية صوت السهم اذا رمي وفق حكاية صوت
القربة اذا فتحت بغتة وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر . ومما نوجه ذهن القارئ اليه
ان الاصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها ليست من المقاطع الواضحة في شيء
ونكenna تؤثر في اذهاننا تأثيراً اذا اردنا التعبير عنه نطقنا بقطع او لفظ يشبه وهذا ما
نريد به حكاية الصوت

فن حكاية الاصوات الطبيعية الحية وغير الحية على اختلاف مصادرها ومظاهرها
اقتبس الانسان لغته فالتخذها اولاً بالتقليد للتعبير عما يحدها او ما يتعلق به وهذا ما
نسميه اللغة الطبيعية ثم تنوعت وتفرعت بالنحت والابدال والقلب تبعاً لاحتياجات
الانسان حتى صارت الى ما هي عليه بتوالي الاجيال

وكيفية تألف اللغة من الاصوات الطبيعية ان يقلد الانسان تلك الاصوات
او ما يحاكيها للدلالة على الاشياء التي تحدتها كما لو اراد الدلالة على الكلب بتقليد
صوت عوائه او الإشارة الى الريح بتقليد صوت هبوبها او اذا اراد قولنا قطع تقلد
صوت القطع وهو قط او ما شاكل ذلك . وشأن الانسان في اوائل عمره ان شأن
الطفل الرضيع مراقبة نمو الطفل وكيفية تمييزه عن الظواهر المحيطة به قبل تعلمه لغة
والديه اشبه شيء بحال الانسان في طفولية الارض فالطفل لو ترك لفطرته لدل على
كل حيوان بتقليد صوته وعلى كل اداة بما تحدته من الصوت وقد يستعين بالإشارة
وهو في الواقع يفعل ذلك الآن ولكنه لا يلبث ان يتعلم لغة من هم حوله ويتناسى لغته
الطبيعية

وقد يعسر التسليم بنشوء اللغة عن الاصوات الطبيعية وحدها لانها لا تكاد تذكر بالنسبة الى الفاظ اللغة واشتقاقاتها وانواع تعبيرها مما يعد ثبات الالوف على حين ان الاصوات الطبيعية لا تكاد تزيد على المئة والجواب ان ذلك طبيعي جار في الطبيعة يتناول سائر الاجسام الحية وما يتعلق بها فكلها تنمو وترثي وتنوع وتنفرع وتكاثر جرياً على ناموس الارتقاء العام . فقد رأيت في ما تقدم من تاريخ الانسان انه تدرّج الى سائر حاجياته فارثي من ابسط الادوات الى ما يتركب منها حتى صارت تعد بالآلاف فكانت القطعة من الجلد مثلاً تقوم عنده مقام كثير من الثياب والاثاث فكان يزر بها نهراً ويلتحقها ليلاً ويستظل بها من حر الشمس او يغلق بها باب كهفه وقد يحمل بها ما يحتاج الى نقله من الطعام او غيره او يغطي بها رأسه وقاية من المطر او حر الشمس وربما اتقى بها ربي الحجارة عليه وقد يستعين بها على اعمال أخرى كثيرة لا تحصى فهي تقوم عنده مقام اللباس والفرش والبيت والستارة وآنية الحمل والدرع والمظلة وغير ذلك

وهو انما توصل الى هذه الادوات الكثيرة بعد ذلك تدريجاً بالنمو الطبيعي وهكذا يقال في الفاظ اللغة فقد كانت اللفظة الواحدة او المقطع الواحد يقوم مقام مئات من الالفاظ . من امثلة ذلك ان الانسان رأى الماعز مثلاً وسمع صوته فدلّ عليه بحكاية صوته وهي مع وهكذا يفعل الاطفال اليوم فانهم يدلون على الماعز بقولهم « مع » ولكنهم يدلون بها أيضاً على لحمه وعلى شعره وعلى اشياء اخرى يختلف تعيينها باختلاف الاحوال . والانسان في اوّل فطرته سمع صوت القطع مثلاً فتقلده بمقطع « قط » وجعل يدل به عما هو في لغتنا قطع او كسر ولكنه كان يدل به ايضاً على كل ما يتعلق بالقطع مثل فعل القطع والمادة المقطوعة واليد التي قطعت والاحوال التي قطعت فيها وما شا كل ذلك

ثم ان كل مقطع من المقاطع الطبيعية يتحوّل بالنحت والابدال والقلب وبالنمو والتفرّع والتنوع الى الفاظ كثيرة مشتركة في المعنى الاصلي فيخص الانسان كل تفرع لفظي بتفرّع معنوي على أساليب وطرق لا ضابط لها

ففي الدور التقليدي تقتصر اللغة على تقليد حكايات الاصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها وهي اللغة الطبيعية الصوتية وهي قليلة الالفاظ بسيطة البناء لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف ولا ظرف فيها ولا اشتقاق ولا تصريف فيسهل التفاهم بها بين

سائر اصناف الناس على اختلاف المناطق والاقاليم كما هي الحال في لغة الاشارات الطبيعية . على اننا لا نعلم بوجود لغة على هذه الحالة مطلقاً ولكن بعضها اقرب من البعض الآخر اليها . وادنى ما يعرف من لغات البشر لغة بعض سكان اوستراليا واواسط اميركا الجنوبية فانها نظراً لقلّة موادها لا تفي باغراضهم في التعبير عن كل ما يحتاجون اليه على قلة احتياجاتهم فيضطرون لاستعمال الاشارات فتراهم اذا تكلموا صوّتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم واعينهم . والاشارات قسم مهم من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم ليلاً . والفاظ لغتهم اقرب الى الاصوات الطبيعية منها الى الفاظ لغاتنا

ومن قاطني اوستراليا ايضاً من لا تسعنيهم لغتهم في التعبير عما وراء الاثنين من الاعداد بلفظ واحد اذ ليس لديهم من الالفاظ العددية الا كلمتان فقط وهما نثات واحد و « ناييس » اثنتان فاذا ارادوا ثلاثة جمعوها معاً وقالوا « ناييس نثات » او اربعة « ناييس ناييس » او خمسة « ناييس ناييس نثات » او ستة « ناييس ناييس ناييس » اما السبعة وما وراؤها فيقفون عندها منذهلين وتضييق دونهم سبل التصوّر فيعبرون عنها بقولهم « كثير » . ومنهم من يعبرون عن كل تنوعات معني القطع بكلمة واحدة وما يفيد في الاطلاع على كيفية تحوّل معاني الكلمات ما يعبر به بعضهم مما هو من الغرابة بمكان فان منهم من ليس في لغتهم لفظة تؤدّي معنى الصلابة فاذا اضطروا للتعبير عن قولنا « صلب » قالوا « حجر » وآخرون لا يقدرّون على تأدية معنى الطول والاستدارة فيعبرون عن قولنا « طويل » بقولهم « ساق » وعن « مستدير » بقولهم « مثل القمر » . ولا يخفى ان هذه الكلمات في غاية المناسبة لما وضعت له لان الحجر هو الجسم الاكثر شيوعاً بصفة الصلابة والساق اول ما يخطر للانسان تصوّر الطول فيها كما هو معلوم . واللغات في اول امرها خالية من الادوات والحروف اذ يعوض عنها في بادئ الامر بالاشارات ثم يستعار لها الفاظ ذات معني في نفسها

(٢) الدور النطقي

نريد بالدور النطقي حال اللغة بعد تحوّل الفاظها بالقلب والابدال والذبح من تقليد الاصوات تقليداً بسيطاً الى الفاظ مستقلة يدل بها على المعاني دلالة صماء لا تظهر فيها صبغة التقليد كما هو حال اللغة الآن

وقد مرَّ على اللغة في انتقالها من الدور التقليدي الى النطقي دهور متطاولة لا يعرف مقدارها تدرجت فيها اللغة درجات متفاوتة لا يسعنا استيفاء شرحها في هذا المقام فمر عايتها مرور المسرع خوف التلويل فنقول

أول درجة تخطوها اللغة من التقليد البسيط الى النطق انما هي تحوُّل حكاية الصوت من الدلالة على ما يحاكيه مباشرة الى ما يقرب منه أو يماثله بالتدرج حتى تتولد الالفاظ البسيطة الدالة على المعاني البسيطة بغير ان تتولد فيها الادوات والحروف أو صيغ الاشتقاق ولا يميز فيها بين الاسم والفعل والحرف وانما يدل على ذلك بالقرينة فتستعمل اللفظة الواحدة تارة اسماً وطوراً فعلاً وأخرى نعتاً أو أداة فالصينيون مثلاً يعبرون بقولهم (توان) عن معان عديدة تعود الى اصل واحد فيقصدون بها (كوّر) أو (أحاط) أو (مكوّر) أو (كرة) أو (حول) الظرفية الى غير ذلك من امثال هذه المعاني ونظراً لقلة الفاظ اللغة في هذه الحالة يطلقون اللفظة الواحدة على معان تقرب من معناها الاصلي كما هي الحال في اللغة الاكادية فان لفظة واحدة مولفة من مقطع واحد تدل على خمسة عشر معنى والاصل فيها جميعها واحد وهي لفظة ga أو ca فانهم يقصدون بها (فم) أو (وجه) أو (عين) أو (اذن) أو (شكل) أو (قدم) أو (رجل) أو (نظر) أو (تكلم) أو (مدينة) والاصل فيها وجه المدينة

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فيتولد فيها المميز بين الاسم والفعل مع خلوها من حروف الجر والعطف وسائر الادوات وصيغ الاشتقاق كما هو الحال في اللغة الصينية فالصينيون يعبرون عن حرف الجر « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شاجن اي تنغ » مفادها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني اواسط افريقيا قبائل تعرف بقبائل « مندنجو » اذا ارادوا تادية معنى « على » قالوا « كنج » اي عنق أو « في » قالوا « كونو » اي بطن فيقولون لما هو في اغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا في « في » • وادوات الجمع والتأنيث والذكور والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب افعال أو اسماء ذات معان مستقلة

ومن لغات بعض جزائر المحيط مالا ادوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص والمشهور من هذا النوع اللغة البولندية والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز اصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا انزلت

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فتولد فيها بعض الادوات والحروف وتولدها انما يكون بتنوع الفاظها بالبحث على كروار الايام فتتحول الاسماء او الافعال الدالة على معنى في نفسها الى الحروف او الدالة على معنى في غيرها على طرق واساليب لا يمكن حصرها . ولكنها تبقى مع ذلك خلواً من مميزات العدد او الجنس في افعالها كما هي الحال في اللغة المصرية القديمة (الحير وغلغنية) التي قد توفر فيها عدد كاف من الادوات والظروف لكنها تشارك المتقدم ذكرها بانها لا يميز للزمن او الشخص في افعالها . والادوات التي تحسب ضرورية في الطائفة الاربية والطائفة السامية في تركيب الازمنة والمشتقات لا وجود لها مطلقاً في اللغة المصرية . والتصريف النعلي يقوم فيها باضافة الضائر الى الاصل المتضمن الحدث اضافة بسيطة بدون تغيير في اصلها او اشارة الى مقصد المتكلم والتمييز في ذلك كله موكول بالقربنة ولا وجود في لغتهم لما يسمونه عندنا مزيادات الافعال فالاصل هو الذي يقوم في التكلم مكان سائر تنوعات معناه . وتشاركها ايضاً باطلاق اللفظة الوحيدة على الاسم او النعل او الحرف فعندهم aa مثلاً تفيد قولنا عظيم فيختلف موداها باختلاف موقعها فتعني بمعنى (جداً) او (عظيم) او (رجل عظيم)

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فتولد فيها مميزات الجنس والعدد والاشتقاق كما ترى في اللغات السامية (الأعرابية) فان فيها الاشتقاق ومميزات الجنس في الاسماء والنوع واشباهها ولكننا نرى فيها نقصاً تشارك فيه اللغة المصرية القديمة كخلوها من صيغ التفضيل مثلاً فالصفة المشبهة في تلك اللغات تقوم مقام انواع التفضيل الثلاثة فيقولون مثلاً في الصفة المشبهة هذا حسن وفي افعال التفضيل هذا حسن من ذاك ويقصدون بها هذا احسن من ذاك . واذا ارادوا تفضيل الفرد على سائر افراد نوعه قالوا ما يماثل قولنا ملك الملوك ويقصدون بها قولنا اعظم الملوك او الاعظم بين الملوك ثم ترتقي درجة اخرى فتتم فيها كل هذه المميزات مع خلوها من حالات الاعراب وهذه هي حال اللغات الآرية الحديثة وتشمل اعظم لغات اوربا الحديثة ولا يميز

فيها بين الرفع والنصب والجر وإنما يقوم مقامها الخاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر أو بتقديم الالفاظ وتأخيرها فالفرنساويون يقولون مثلاً
 le lion tue le tigre اي الاسد يقتل النمر وإذا أرادوا العكس عكسوا ترتيب
 العبارة فقالوا le tigre tue le lion وفي الانكليزية (the lion kills
 the tiger اي الاسد يقتل النمر و the tiger kills the lion
 يقتل الاسد وهكذا في الاضافة وغيرها ومعلوم ان لغة عامتنا نظراً لاهمال حركات
 الاعراب قد اصبحت من هذا النوع

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى وهي ارقى ما وصلت اليه اللغات حتى الآن فتتولد فيها
 مميزات الاعراب وهي حال اللغة العربية الفصحى واللغات اليونانية واللاتينية والالمانية
 فان تقديم الالفاظ وتأخيرها قلما يؤثران في المقصود من العبارة اذا حفظت حركات الاعراب
 ففي العربية الفصحى نقول قتل الاسد النمر وقتل النمر الاسد والاسد قتل
 النمر والاسد قتل النمر قتل (قتلته) والنمر قتل الاسد وجميعها
 تفيد ان الاسد القاتل والنمر المقتول واذا اردنا العكس لا نحتاج الا الى تغيير حركات
 الاعراب كما لا يخفى

هذا ماخص ما يمكن ان تمر عليه اللغة من الاحوال في الارتقاء من الدور التقليدي
 الى الدور النطقي في ارقى درجاته

وربما استغرب بعضهم ان لغة مثل اللغة العربية بما فيها من الادوات والحروف
 وانواع الاشتقاق واساليب التعبير وعدد الالفاظ ان يكون اصلها مقاطع قليلة هي
 حكايات الاصوات الطبيعية . ولكننا اذا امعنا النظر ودرسنا احوال اللغات على
 اختلاف درجاتها وراجعنا تاريخ الالفاظ التي اصلها تغيير وتبديل على عهدنا مع
 تفهمنا ناموس الارتقاء العام الذي جعله الخالق في الاجسام الحية وما يتعلق بها فلا
 نرى غرابة في ذلك . وفراراً من التطويل نورد بعض الامثلة تقريباً لذهن القارئ
 من هذا الموضوع فنقول

قد تقدم ان المهمة حكاية صوت الزفير الذي يخرج من الحزبن فتولد منها على التوالي
 الازمان فعل هم وما اشتق منه لفظاً ومعنى (راجع القاموس) ومثل ذلك لفظ وي
 وهي لفظ ينطق به الانسان للتأوه من فطرته فقد تركب منها ومن لام الجر لفظ ويل

يدلون بها على التفجع أو حلول الشر وقد صرّفوها وزادوا فيها فقالوا ويل وتويل وتوايل واستعملوها اسماً لوادٍ في جهنم وشقوا منها اسم مرة فقالوا ويلة ويقصدون بها فضيحة وركبوا من (وي) عدة كلمات منها وويج وويب وربما كان أصلها (وي أب) للاستغاثة به وويج ربما من (وي أخ) ووييس وويه وركبوا من (ويل) قولهم (ويلمه) بمعنى دام فيقولون لمن عرف بالدهاء (ويلمة) وهي منحوتة من وي لامة أو ويل لامة

وقد شق الإنسان من حكاية صوت التوجع «آه» فعلاً فقال (آه ياؤه أوهاً) أي شكا وتوجع وهكذا (تأوه تأوهاً) وقد دعوا داء الحصبة (آهة) والجدرى (مآهة) وكل ذلك لتناسب في المعنى واللفظ وهذه التسمية تذكرنا بلغة الاشارات حيث يعبرون عن المعنى بتقليد صفة من صفاته أو تشخيص حادثة ملازمة له فانهم بتسميتهم الحصبة (آهة) كأنهم يشخصون ما يرافق ذلك الداء من تأوه المريض . وقد شقوا أيضاً من (أوف) حكاية صوت الاستكراه قولهم (أف يؤف أفأ) تضجر ورجل (أفأ) أي كثير الضجر و (أفف) بمعنى أف وقد شقوا منها اسماً فدعوا قلامة الاظافر (أفأ) وكذلك وسخ الاذن وما رفعت عن الارض من عود أو قصبه ومنها أيضاً (الآفة) بمعنى الجبان والمعدم والمقل والرجل القذر ولا يخفى ان هذه المعاني تنوعات المعنى الأصلي الذي هو الضجر والاستكراه . وفي اللغة المصرية القديمة أمثال كثيرة كهذه منها قولهم (حو) بمعنى ضرب وهي صوت المضروب عند التألم وقولهم (آ) لما هو في لغتنا عظيم أو كثير وقد تأني طرفاً بمعنى (جداً) و «حوو» عريان وهي صوت المنفعل من البرد عرياناً

ومثل ذلك حكاية صوت البصاق «نف» فقد شقوا منها (تفل) أي بصق ولما كان الإنسان يبصق أحياناً استخفافاً بالامر شقوا منه فعلاً فقالوا (تفه) (خس) أو قل ولما كان النف أحياناً يحدث عن استكراه بعض الاطعمة استعملوا منه (الفاهة) في الطعام أي عدم الطعم فيقال (طعام تفه) أي لا طعم له وإذا كان النف مستعملاً عند الغضب أو الحدة شقوا منه (تقيء) أي احتد أو غضب وإذا كان يسمع عند محاولة اطفاء اللهيب استعملوا تنوعه (طقيء) بمعنى خمد وقد شقوا منه أفعالاً واسماء لم تعد تميز الآن لكثرة تنوعها . والظاهر ان الناء هي الصوت المختص بالنفخ فاننا نخرج عند النفخ صوتاً هذه حكايته (أف) فتركب منها (ربما بالتح) في العربية

(نفخ) وفي الانكليزية (puff) وفي الفرنسية (souffler) او (enfler) او (Gonfler) وبعض القبائل العريقة بالتوحش يعبرون عن النار بقولهم (أفى) حكاية صوت النفخ وكان المصريون يعبرون عن النار بقولهم (هه) وهي حكاية صوت الزفير الاغتصابي كأنهم قصدوا به اخراج النفس حاراً من الصدر ليدلوا به على النار وعندهم « خخ » لما هو عندنا : بلعوم « فكان الاصل فيه اخراج الصوت بعنف من مؤخر الحلق ليتنبه السامع الى ان المتكلم يقصد البلعوم المجاور لتلك الجهة وربما استعمل هذا الصوت في بادىء الامر مصحوباً بإشارة استلفاتاً للذهن ثم استغنى عن الاشارة وفي العبرانية « آف » بمعنى أنف وهي حكاية صوت الزفير اذا خرج عن طريق الانف ولما كان الزفير الانفي يحصل غالباً عند الغضب الشديد استعملوا « آف » بمعنى غضب او سحق . وبعد استعمالها للدلالة على الانف اطلقوها على جميع الوجوه . ثم ركبوها مع ادوات أخرى فصاغوا منها ظروفًا كقولهم « لآفي » امام او تجاه ولا يخفى ان « آف » و « أنف » من أصل واحد والتون دخيلة في العربية على ما نرى

وليست هذه الامثلة الا نذراً يسيراً بالنسبة الى تنوعات الاصوات الخارجية غير الحية فان مقطع « قط » حكاية صوت القطع قد تولد منه بالقلب والابدال والنحت تنوعات لا تعد ولا تحصى قد أشرنا الى شيء منها في ما تقدم : منها قصّ وكسّ وجذّ وجزّ وخصّ وخذّ وقدّ وغيرها وكلها بمعنى قطّ او قطع . وكلّ من هذه التنوعات قد تولد منه بالنحت عدة الفاظ فمن (قط) تولد قطع وقطب وقطف وهذا الاخير ان يتضمنان مع القطع معنى الجمع وقطم وقطل . ومن (قص) تولد قصم وقصل وقصب وقصر وهذه تتضمن معنى النقص وقصف وقصا وجميعها تتضمن معنى القطع . ومن « قض » قاض وقضم وقضب وقضع . ومن « كس » كسر وكسع وكسح وكسم . ومن « جذ » جذب وجذر وجذف وجذم . ومن « جز » جزأ وجزر وجزع وجزح وجزل وجزم . ومن « خز » « خزّ » خزع وخزق وخزم وخزل . فترى معنى القطع واضحاً تماماً في جميع هذه التنوعات وقد تراه بعيداً في غيرها ومفقوداً في بعضها . فان « خصّ » تفيد معنى الافراد بالشيء فترى معنى القطع فيها مجازياً فكأنه يقول خصّه بالشيء أي قطعه

عن سواء ومنها خصم بمعنى الخصام او الشقاق او الانقسام فظهر فيها معنى القطع
والكنة غير واضح وهكذا في خصم فانها لا تزال تتضمن معنى القطع وليس كذلك
خضع وخضل • ومن « خذ » خذع قال اليزاوي « اخذع ان توهم غيرك خلاف
ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خذع الضب تواري في حجره »
ولا يخفى ما يستلزم في هذا من معنى القطع • وخذر البنت الزمها الحذر اي قطعها
غن الاخلاط بالناس وخذف ولا تزال تفيد القطع صريحاً • ويجانس خذ « خذ »
ومنها خذع قطع وكذلك خذعب وخذعل وخذل اما خذل فقد اصبحت بمعنى خيب
لكنك تراها عند التدقيق تفيد القطع او الانقطاع لانهم يقولون خذات الظبية اذا تخلفت
عن صواحبي وانفردت او انقطعت • ويجانس قص « قس » ومنها قسم وقسط فان
هذه الاخيرة وسائر الافعال المتعلقة بالاحكام العقلية ترد الى معنى القطع المعنوي
كعدل وقضى وحكم وفصل وقسط وكذلك افعال القسم كاقسم وحلف • ويجانس
قس أيضاً « قش » ومنها قشر تتضمن مع القطع معنى النزع وكذلك قشط وقشع
اما قشب فلا تدل على القطع اما قشبر المنحونة منها فيستلزم فيها ذلك المعنى والظاهر
ان قشب خسرت معنى القطع بالاستعمال والعامية في سوريا يقولون قشبت الشفة اي
تشققت • وهناك تنوعات اخرى اغضينا عن ذكرها اكتفاءً بما ذكرنا على سبيل
المثال • ولا بد لنا من ذكر مثال للتنوعات التي تحصل بزيادة حرف في أول
الاصل مثال ذلك نقض من قض ومقط من قط بمعنى الكسر • او في الوسط نحو
قرص من قص وقرض من قض وقس عليه التنوعات الحاصلة بالقلب مما يضيق
المقام عن استيفائه

ومن غريب الابدال ان تكون « يد » و « قط » او احدى اخواتها من اصل
واحد • ولا ننكر ما في ذلك من دواعي الاستعراب ولكن الدليل يقرب البعيد • فان
القرب بينهما في المعنى واضح لان اليدهي مصدر القطع وأول استماع الانسان حكاية
صوت القطع انما كان بواسطتها فلا غرو اذا استعمل ذلك الصوت للدلالة عليها ونسبة
اليدهي للقطع معنى كنسبة قاطع الى قطع ولا يخفى ما هنالك من المشابهة • واما في
اللفظ فاننا باستقراء اصل كلمة يد في اللغات السامية اخوات العربية نرى انها قريبة
جداً من قط فانها في الاشورية « غت » وفي البابلية « كت » وهي حكاية صوت
القطع بعينه

فترى ان تنوعات حكاية صوت القطع مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدداً ولا يخفى ان كلاً من هذه النوعات اصل لمشتقات وتنوعات جمة لفظاً ومعنى حقيقة ومجازاً وإذا أردت تحقق ذلك راجع كلاً من هذه المواد في مكانه من القاموس فترى ان بعضها ماث من التنوعات المعنوية التي بعضها يرد الى معنى القطع وبعضها لا يرد لما حام حوله من اطلال المعاني الاخرى اما بالاستعمال او بتنوع المعاني نفسها او غير ذلك

وما قيل في « قط » يقال في غيرها من حكاية الاصوات فمن « هب » حكاية صوت الهميب اذا نفخته الريح او هو ما نسمعه ممن يعمل عملاً يقتضي اجهاداً وقد تصوروا فيه معنى الهيجان لنا سلسلة هيج وهبذ وهبش وهبص وهبا وسلسلة هب ورهب وسلسلة هذب وهكذا . ولنا من « لت » حكاية صوت اللطم لت ولتب ولتج ولتخ ولتد ولذ ولنف ولتم . ويجانس لت « لط » ومنها لطأ ولطث ولطخ ولطخ ولطس ولطش ولطع ولطم ولطة وجميعها تتضمن معنى اللدق والشد ومنها سلسلة اخرى اولها لبط . وهكذا يقال في « فق » حكاية صوت القرية اذا انبثق منها الماء وتتضمن معنى الفتح ومنها فقاً وفقاً وفقر وفقص وفقش وفقع وقس عليه كثيراً من أمثاله

فهذه التنوعات مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدداً ولا يبرح من بال القارئ ان كلاً منها اصل لمشتقات وتنوعات جمة لفظاً ومعنى حقيقة ومجازاً . وايضاحاً لذلك نذكر مشتقات وتنوعات أحدها « قطع » ومعناها اصلاً أبان أو فصل فمنها - « قطع فلاناً عن حقه منه » . واقطع الحدث الصلاة أبطلها . وفلان في القول جزم وقطع الطريق منه . وقطع النهر عبره . وقطع لسانه أي اعطاه احساناً حتى اسكته عن هجوه . وقطع فلان الحبل اخنق وقطع الحوض ملأه الى نصفه ثم قطع عنه الماء وقطع عنق دابته باعها . وقطع الرجل او قطع لم يقدر على الكلام . وقطعت يده قطعاً وقطمة وقطعاً وقطاعاً بانت بقطع او بداء عرض لها . وقطع بفلان مجهولاً عجز عن سفره او حيل بينه وبين ما يؤمله وقطع فلان يشس او عجز . قطعه قطعه شديداً أو بكثرة . قطعني الثوب كفاني

النقطيع . يقال هذا الثوب يقطعك قميصاً . وقطع فرسه الخيل سبقتها . وقطع الله عليه العذاب لونه وجزأه . وقطع الخمر بالماء مزجها . وقطع العروضي الشعر حللة الى أجزائه العروضية . قاطمة ضد وأصله . وفلان فلاناً بسيفها نظراً أيها اقطع . وقاطع فلاناً على عمل ولاه إياه باجرة معينة . واقطع الامام الجند البلد جعل لهم غلته رزقاً . وقد دعوا اسم ذلك المكان الذي يقطع قطيعة . وأقطع فلاناً اخشاباً أذن له في قطعها . اقطعت الدجاجة أقفت . واقطع النخل اصرم . وماء الركبة ذهب . واقطع القوم انقطعت عنهم مياه السماء . وفلاناً جاوز به نهراً . والرجل انقطعت حجته وبكتوه بالحق فلم يجب . والغريب عن أهله انقطع عنهم وباينهم . ونقطع الشيء مطاوع قطع . لنقطعت الخمر امتزجت . ونقطعوا أمرهم بينهم تقسموه . ونقاطعا ضد تواصلوا . وانقطع الشيء مطاوع قطع والسيف انكسر . وماء الركبة ذهب . والغيث احتبس . والنهر جف أو حبس . وانقطع بالمسافر على المجهول عطبت دابته أو نفذ زاده فانقطع به السفر دون طيه . فهو منقطع به . واقطع من ماله قطعة أخذ منه شيئاً واستقطمه بلداً سألته ان يقطعه إياها . القاطع اسم فاعل والحاجز والمقطع الذي يقطع به الثوب والاديم ونحوهما وقيل القاطع هو المثال الذي يقطع عليه وسيف قاطع أي ماض . ولبن قاطع أي حامض . وبرهان قاطع أي يقطع الحجة أي مقنع . وقاطع الطريق اللص . العامة تقول قاطع النهر أي الشاطئ المقابل . ودواء قاطع أي ذهبت قوته . والطعام القاطع عند النصارى ما ليس من لحوم حيوانات البر ولا من البانها . والمنقطع عن تناول غير هذا الطعام يقال له قاطع أيضاً . القاطمية عند التجار الكمية التي تفنى بالاستعمال من طعام وبضاعة ونحوهما . القطاع المقطع الذي يقطع به الثوب والاديم ونحوهما والدرهم . وزمن القطاع أي زمن صرام التحل . والقطاع مصدر وعند المهندسين يطلق على شيئين أحدهما قطاع الدائرة والثاني قطاع الكرة . القطاعة اللقمة وما سقط من القطع وطائفة تقطع من الشيء أو هي مخصصة بالاديم . القطاعة عند النصارى الاقتصار على الطعام القاطع المذكور آنفاً .

القطاع عند البنائين الذي يقطع حجارة البناء من الصخر . وآله القطاعة .
وحرفته القطاعة . والقطع ابانة بمض اجزاء الجسم فصلاً . وقطع اللص يراد به
قطع يده . وقولهم ان الامر واقع قطعاً النصب فيه على المصدر أي اقطع به قطعاً
بمعنى اجزم . او على الحال أي مقطوعاً بوقوعه . والقطع عند المتقدمين من القراء
الوقف . والمتأخرون منهم فرقوا بينهما فقالوا القطع عبارة عن قطع الصوت عن
الكلمة زمناً يُتنفس فيه عادةً بنية استئناف القراءة لا بنية الاعراض عنها . وهو
عند العروضيين حذف آخر الوند المجموع الواقع في عروض البيت أو ضربه
واسكان المتحرك قبله كحذف النون من متاعان ونسكين اللام فيصير متاعل
ويُنقل الى فاعلاتن . ويسمى ذلك الجزء مقطوعاً . والقطع عند النحاة ترك
التبعية والعدول الى خلافها كقراءة بعضهم الحمد لله الحميد برفع الحميد على انه
خبرٌ لمبتدأ محذوف أي هو الحميد ونصبه على انه مفعول به لفعل محذوف أي أعني
الحميد . وعند أهل المعاني الفصل وهو ترك العطف . وذلك يكون بين الجمل لكون
عطف الواحدة منها على الاخرى يوم عطفها على غيرها مما ليس بمقصود عطفها .
ويطلق القطع عند الحكماء على فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه وعند الاصوليين
على معنيين أحدهما نفي الاحتمال أصلاً . والثاني نفي الاحتمال الناشئ عن دليل .
وهمزة القطع عند الصرفيين التي تثبت لفظاً في الابتداء والدرج جميعاً . والقطع
ما تقطع من الشجر ونصل صغير عريض وظلمة آخر الليل او القطعة منه او من أوله
او من ثلثه والرديء من السهام والبساط او التمرة او طنفسة يجمعها الركب تحته
وتغطي كتنفي البغير . وثوب قطع وأقطاع أي مقطوع . القطع البهر وانقطاع
النفس وجمع لا قطع والقطع وأصابهم قطعاً او قطعاً بالكسر أي انقطع ماء بصرهم
في القيظ . القطع القطعة من الليل . ورجل قطع أي هاجر رحمه وقاطعها وعاقها .
القطعاء مؤنث الا قطع . ورحم قطعاً لم توصل . القطعة الحصاة من الشيء .
وقطعة علم للأنثى من القطا . القطعة عند المهندسين كالقطاع والقطعة من الشعر
ما كان سبعة أبيات فمادون وقيل عشرة والقطعة بقية يد الا قطع . وموضع القطع .

القطوع من النوق التي يسرع انقطاع لبنها . القطيع الطائفة من الغنم والنعم .
وهو قطع القيام أي منقطع القيام ضعفاً أو سمناً . وامرأة قطع الكلام أي غير
سليطة . وهو قطيعه أو شبيهه في خلقه وقده . القطيعاء ضرب من التمر .
القطيعة الهجران . الاقطع المقطوع اليد . وحمام اقطع أي في بطنه يياض .
الانقطاع في المناظرة اختتام البحث بثبوت دعوى المستدل أو دعوى المعارض .
والنقطيع مخص في الامعاء « سموه نقطيعاً لأن المصاب به يحس كأن أمعاءه
تنقطع »

الانقطاع من لا يثبت على مواخاة . المقطع حرف مع حركة أو حرفان
ثانيهما ساكن وقيل هي الحركة الاعرابية ويطلق المقطع أيضاً على مخرج الحرف
من الحلق أو اللسان أو الشفتين . مقطع الاسحار الارنب المقطعات من الشعر
قصاره وأراجيزه . اهـ » (١)

هذه تنوعات فرع واحد من تفرعات « قط » فقس عليه ما بقي منها واجمع ترانها
تفوق الآلاف عدداً

ومعلوم ان هذه التنوعات لم تكن مقصودة عند اول استعمال قطع بل حدثت
بعد ذلك تبعاً لاحتياجات البشر ووفقاً لما استدعته الاحوال الامر الذي لا ينفك ولن
ينفك جاريماً الى ما شاء الله فان كثيراً منها قد طرأ عليه بعد ان جمعت اللغة تنوع
اقتضته الاحوال وكثيراً منها أبطل استعماله والتي في زوايا الالهال ولا يخفى على
كاتب في اللغة ان كثيراً من المعاني المجازية للالفاظ قد اهمل لدواع غير معروفة تماماً
وكل من يعلم ان الالفاظ على الدوام آخذة باكتساب معاني جديدة إما بين الكتاب
للتعبير عن افكار حديثة او بين العامة جرياً على ناموس الارتقاء العام — فالعامة تقول
« رجل مستور » ويقصدون بها انه في درجة متوسطة من المعيشة . فلول وهلة
لا تشاهد علاقة بين اللفظ والمعنى اذ ان « مستور » مشتق من ستر أي غطى لكنتنا
نعلم انهم قصدوا بها بادية بدء ان هذا الرجل ليس فقيراً لدرجة تحمله على الاستعطاء
او الاستمرار على حالة تشهر أمره بل هو قادر على اكفائه عائلته بحيث لا يعلم

الآخرون باحتياجهم فهم مستورون عن أعين القوم . وتصرفوا بها فقالوا « بدنا السترة »
بمعنى لا نطلب من الاحتياجات إلاَّ سدَّ العوز . وامثال هذه كثيرة على السنة العامة
يسمى كلُّ منها . وبما لا بد من ذكره ان هذا التنوع المعنوي يصحبه غالباً تنوع لفظي
فهم يقولون (ضرر) بمعنى خرج واصلا بلا ريب (ظهر) اذ ليس للاولى من اثر
في كتب اللغة فانظر كيف انها تنوعت لفظاً ومعنى ولا يخفى ما هناك من النسبة بين
معنى الظهور والخروج . ولم يكتبوا بذلك بل اطلقوا (ضرر) فصارت تفيد
عندهم مفاد جملة فيقولون ضرر او خرج ويريدون بذلك « خرج لقضاء
حاجة نفسه »

وتستعمل العامة (صلاحية) للدلالة على أثناء للطعام كالنصعة واذا بحثنا عن اصل
هذه اللفظة نرى انها مبدلة من (صراحية) التي وضعت أصلاً للدلالة على الحر الحر الحالصة
ثم استعملت مجازاً لآنية الحر ثم اطلقت على أثناء الطعام . وهناك سؤال آخر ماهي العلاقة
بين هذه التسمية والحر فقول ان (صراحية) مشتقة من (صرح) بمعنى صفا
فاطلقت على الحر الصافية ثم على آنيته ثم على آنية الطعام فتأمل

ولدينا من جملة افعال القتل قولهم (نيشن) والباحث يرى انها مأخوذة من
نيشان وقد اكتسبت هذه الدلالة من وضع المجرمين أحياناً هدفاً للرصاص جزاء
ما كسبت ايديهم والهدف يدعونه نيشاناً فقالوا نيشنه اي قتله بجعله هدفاً يرمي
عليه رصاص البنادق . وأظن انه لا تخفى مدة حتى تطلق هذه اللفظة على اي نوع
من القتل . ومن انواع القتل عندنا (شنق) وهذه كانت تدل قبلاً على العذاب وفي
السرانية يقال (شنق) اي عذب فحمل معناها على القتل شنقاً لانه من أشد ضروب
العذاب وغير هذه الامثال كثير مما نشاهده ونسمعه كل يوم

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات الاعتيادية في اللغة قبل ان جمعت اذ كان
يرافق التنوع المعنوي تنوع لفظي فخصوا كل تنوع معنوي بآخر لفظي فوصلت الينا
الافعال كما نشاهدها

فالالفاظ الثنائية الاحايه المقطع هي الاصل في كل هذه التنوعات بدليل ان
الاصول اللغوية في سائر اللغات احادية المقطع وان لم تكن جميعها ثنائية الاحرف .
ففي اللغات الآرية لنا جذور قليلة العدد هي أصل لجميع المشتقات وهذه الجذور
احادية المقطع على الاطلاق

منها : I اصل معنى الحركة البسيطة و ka الاضطجاع و ak الحركة السريعة و sta الوقوف و as او sad الجلوس و pad المشي و vas البقاء و sak الالحاق و vart العود و sarp السحف و pat الطيران (وعندي ان هذه و pad المتقدم ذكرها من أصل واحد لتوافقهما في اللفظ والمعنى) و plu الفيضان و ad الاكل و pa الشرب و an النفخ الخ الخ . ومن هذه الجذور تتولد كلمات عديدة لمعان متنوعة ترد بالاستقراء الى معاني جذورها

وهكذا الحال في اللغات السامية اخوات العربية فان الاصول الفعلية والاسمية ساكنة الاواخر فيها على الاطلاق والمضاعف قليل الاعتبار لفظاً في تلك اللغات الا حملاً على العربية وطلباً للتعليل اعتماداً على كون الاصول المجردة جميعاً ثلاثية الاحرف على انهم لا ينطقون بالمضاعف الاً قطعاً واحداً مخففاً مثاله في السريانية **ܡܚܝܢ** (تلم) و **ܚܚܝܢ** (كس) (فصح) و **ܚܚܝܢ** (زك) (نقص) و **ܡܚܝܢ** (حم) (حمي) و **ܡܚܝܢ** (حك) (تلفظ حخ) (حك) و **ܡܚܝܢ** (حن) (تحن) الخ وفي العبرانية **חז** (جز) (جز) و **חז** (جز) (جز) و **חז** (دق) و **חז** (زك) (تلفظ زخ) طهر - الى آخره

فيرجح بقياس التمثيل ان اواخر الافعال كانت ساكنة أصلاً في العربية الا ان اسلافنا قاطني البادية تفتنوا فيه على طرق مختلفة . والامم يختلفون من جهة اواخر الكلم فتم من تنهي الفاظ لغتهم بما ندعوه في لغتنا سكوناً ومن هؤلاء المتكلمون باللغات السامية الا العربية على ان من العرب انفسهم من يستعملون الحركة في اواخر الالفاظ فلا ينطقون بها وهم قبائل مضر واكثر المتكلمين بالعربية لهذا العهد وهناك امم لا يرتاحون الا لتحريك الاواخر كعرب قريش وكالاباطيين والاسبانيين وكذلك كانت اللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) ومن هذا القبيل أيضاً لغة البرابرة القاطنين في التوبة . ومن الغريب ان اللغة الاشورية بكاد لا يوجد فيها لفظ ساكن الاخر بل معظم الفاظها متحركة

وجملة القول ان من الامور الراجحة قياساً والجلية استقراء ان لغتنا مؤلفة اصلاً من أصول قليلة احادية المقطع نشأة الاحرف في الاغلب معظمها مأخوذ عن

محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن المقاطع الضيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً وانه من هذه الاصول القليلة قد نشأت وارتقت بارتقاء افكار المتكلمين بها وتعددت الفاظها بتعدد احتياجاتهم وتنوعت طرق التعبير ومعاني الالفاظ بتنوع احوالهم وكل ذلك جرى على طرق أهمها أربع النحت والابدال والقلب والاستعارة وقد حصل معظم هذا التفرع او التنوع واللغة العربية لا تزال في حجر أمها وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن اخواتها السامية (العبرانية والسريانية وغيرها) اي اذ كانت هي وهن لغة واحدة

وهل يصعب علينا الاقتناع بذلك بعد ان شاهدنا عياناً ان من حكاية صوت واحد تولد ما فوق المئة من الاصول الفعلية الثلاثية ومن كل اصل تولدت تنوعات واشتقاقات معنوية ولفظية تبلغ المئة في البعض والخمسين في البعض الآخر . وقصارى الكلام ان من هذه اللفظة الثنائية الاحرف الاحادية المقطع تولدت افعال واسماء تفوق الآلاف عدداً . ويؤيد ذلك ما تقدم شرحه عن الالفاظ المطلقة وكيف انها مع تعدادها ناشئة عن لفظ واحد او بضعة الفاظ

ولا يفوت القارئ اللبيب ان جميع هذه التفرعات ومعظم تنوعاتها وسائر الادوات اللغوية وطرق الاشتقاق والتصريف قد بلغت معظم ارتقائها في ازمة غاب عن معرفتنا حدها . اذ ان أقدم ما جاء به التاريخ كأمس بالنسبة اليها ولا ريب لدينا انها بلغت ذلك المبلغ وهي لم تزل في حجر أمها والمقابلة تثبت لنا ذلك جلياً

فلا نطمع اذا باستطاعتنا تطبيق جميع الاصول اللغوية على أصوات محاكيها في الخارج ونحن لا نعلم عن منشاء اللغات السامية شيئاً فاللغة السامية او الآرامية التي يريدون بها ام تلك اللغات ليست إلا لغة وهمية ظن اللغويون اسبقيتها للغات السامية وعدوها أصلاً لها استدلالاً مما شاهدوه وفي الفاظها وطرق تعبيرها وقياساً على سواها وهناك طريقة أخرى لوضع الصفات والتعوت وردت في « سر الليال » ويعبر عنها مؤلفه بحكاية الصفة وقد قال فيها ما نصه :

« أما حكاية الصفة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها انها تدل على صفة شيء باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والترخيم أو الشدة والتفخيم كقولهم مثلاً (شيء منعم) اي مزخرف فهو نحو توهم الفرنسي لفظه (منيم) للشيء القليل الوجيز و شيء (ململم) اي مدور مضموم مجتمع وقولهم (خبخاب) لرخاوة

الشيء المضطرب والعامّة تقول (محبّخ) للسّمين المضطرب وكقولهم (امرأة رجراجة) أي يترجرج عليها لحمها وربما التّبست هنا حكاية الصفة بحكاية الصوت وكقول العامّة (مررب) للسّمين المكتنز وهو في لغة الانكليز (بلمب) بفتح اللام وسكون الميم وكقولهم (المهفف) للمدشوق البدن و (النع) للرجل الضعيف والعامّة تقول (منع) للطّيف المترفة وكقول الترك (نازك) ونحو (السلسل) للداء العذب او البارد و (السلس) للسّهل اللين و (السلسيل) اللين الذي لا خشونة فيه و (الوسوسة) لحديث النفس و (الهمس) للصوت الخفي و (الداح) نقش يلوح للصبيان يعلّون به والعامّة تقول (دح) وهي في لغة الانكليز (دال) و (الحاد) لما يلذع اللسان و (الهجنع) الطويل الضخم ورجل (عكوك) أي قصير ملرز و (خفنجل) و (خفنشل) أي ثقيل سديج و (مهبج) أي ثقيل النفس وضخم و (مقرقم) لمن لا يشب و (مركزك) لمن يمر ويقارب خطوه و (زونك) لمن يمشي ويحرك منكبيه وناق (زيزفون) أي سريعة و (كز) أي يابس متقبض وشيء (تافه) لما ليس له طعم و (جهم) للوجه الغليظ المجتمع و (هلقق) للقدم الضخم و (جهضم) للضخم الهامة و (خفنجي و خفنجي) للرجل الرخو لاخير عنده وخجوجي للطويل الرجلين ويلحق به نحو بزّه أي غلبه وبش به وهشّ وماس وترنخ وطال وفرّ ولزّ وتقزّز وقس على ذلك * * اه



اختراع الكتابة

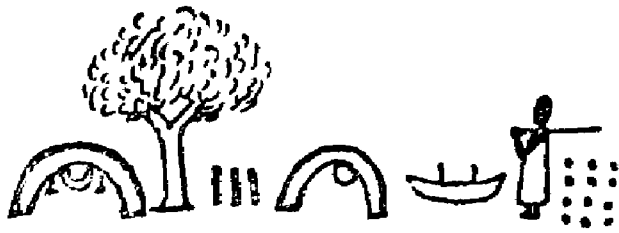
(١) الطريقة الطبيعية لاختراعها

خلق الله الانسان بين عاملين هما أصل الاختراع والاكتشاف اولها الضرورة التي تسوقه الى البحث وثانيهما النور الطبيعي الذي يدل على امرار الطبيعة ويهديه الى ما يساعده في حفظ ذاته ودوام نوعه . ولو تنبعت سائر اختراعات الناس من النار التي لم يدرك التاريخ زمن اختراعها الى أشعة الراديو التي سمعنا بها بالامس لرأيت الدافع اليها كلها الضرورة على حد قولهم « الحاجة أم الاختراع »

ففضى الانسان قرونًا متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتكلم ولكنه لا يكتب فما لبث ان تكاثر وتآلف وانسمت علاقاته وعكف على الاسفار التماساً للرزق حتى اضطر الى الكتابة لتخاطبه جاره او تدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظاته وآثاره

فلنفرض قبيلة من قبائل البشر في أول عهد العمران يقتات أفرادها على الاعشاب واقتناص الحيوان ويأوون الى الكهوف والمغارات بها مصاب همها أمره فاجبت تدوينه نحو ان أسداً وثب على شيخها فافترسه فما ظنك في الطريقة التي يخترعونها لتدوين تلك الحادثة . لا أخالك ترى وسيلة غير التصوير اما بالرسم أو بالنقش على ما انفضيه حالم من الصناعة فيرسمون أسداً واثباً على رجل ينهشه بمخالبه او نحو ذلك . وهي أول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة ونسميها « الدور الصوري الذاتي » وهو أبسط أدوارها لأنه قاصر على تصوير الحادثة كما رقت تماماً ولا فائدة منه إلا في الحوادث المؤلفة مما يقبل التصوير . ولكن هناك معاني لا صورة لها في الخارج كالحب والبغض وكقولك اليوم والغد والصباح والمساء فضلاً عن المعاني الكلية فهذه كلها يضطر فيها الى الرموز فقد

يرمز عن المحبة مثلاً بالحمامة وعن البغض بالحية وعن اليوم برسم الشمس في أعلى دائرة . فلنفرض أناساً جاؤوا تلك القبيلة بجرأاً وبعد مسيرهم ثلاثة أيام نزلوا الشاطيء ليلاً وكان شيخ القبيلة غائباً فأراد ابنه أو أحد أتباعه إبلاغه ذلك كتابة فلا نظنه بعد أعمال فكرته يهتدي الى طريقة يصور بها تلك الحادثة على غير هذه الصورة :



فيحبر عن العدو برسم
رجل مسلح ويريد
بالنقط الكثيرة ان الاعداء

عديدون وبصورة السفينة انهم نزلوا البحر وبالقوس وفي اعلاها الدائرة وهما خط الهاجرة والشمس في اعلاه يريد اليوم وبالخطوط الثلاثة انهم ساروا في البحر ثلاثة أيام وبالشجرة البر وبالقوس وفيه رسم الهلال وشيء يشبه النجوم ان الاعداء نزلوا الشاطيء ليلاً

وهذه خطوة ثانية نحو الكتابة وفيها صور رمزية فضلاً عن الذاتية ونسميها « الدور الصوري الرمزي » ويمكن التعبير به عن أكثر حاجيات الانسان ثم لا يلبثون بتوالي الاجيال ان يهتدوا الى اتخاذ صورة الشيء للدلالة على أول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على أول مقطع من (عدو) وهو العين مفتوحة واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين مفتوحة والشجرة على الشين مفتوحة وقس عليه وهو أهم خطوة في اختراع الكتابة لان بها تحول الاشكال الصورية من الدلالة على اسمائها كاملة الى الدلالة على أول مقطع من مقاطعها وهو ما نسميه بالدور المقطعي

ولكن في رسم صور الحيوان والنبات وغيرها مشقة تحول دون انتشار هذه الكتابة وتداولها . على ان يد الانسان ميالة الى التنويع التماساً للسرعة واقتصاداً في الوقت فلا يلبث رسم الرجل المسلح المتقدم ذكره ان يتحول الى شكل يشبهه

ثم يبعد الشبه كثيراً حتى لا يعرف لذلك الشكل شبهة مع بقاء دلالة الأصلية .
فلا يعرف الناس الا ان ذلك الشكل يدل على المد أو على مقطع (عا) ولا
يرون علاقة بينهما

ثم لا يلبث الانسان ان يهتدي الى اختراع الحركات فبدلاً من ان يدل
الشكل الواحد على المقطع الواحد وهو حرف وحركة معاً يدل على الحرف فقط
ويختراع له علامة تدل على الحركة او ما يقوم مقامها فالشكل الذي كان يدل
على العين مفتوحة يدل على العين بدون حركة وهكذا في ما بقي . فبدلاً من ان
يكون الشكل الدال على مقطع (عا) مثلاً محصوراً في الكلمات الداخلة فيها العين
مفتوحة او مكسورة يستعمل للدلالة على العين مطلقاً ويعبر عن الفتح او الضم أو
الكسر بعلامة تضاف اليها وفي ذلك من التسهيل والاقتصاد مالا يخفى . وهذا
هو الدور الهجائي

فالادوار التي تمر بها الكتابة قبل وصولها الى نحو ما هي عليه الآن أربعة :

(١) الدور الصوري الذاتي وتدل الصور فيه على المعاني الذاتية وهو قاصر
لا يمكن التعبير به الا عن أبسط الحوادث

(٢) الدور الصوري الرمزي وفيه فضلاً عن الصور الذاتية صور رمزية
تدل على المعاني المعنوية التي لا صورة لها في الخارج وفي هذا الدور يمكن التعبير
عن أكثر ما يمر بذهن الانسان من المعاني على اختلاف أنواعها ولكن يقتضي
لذلك مئات بل ألوف من الصور وفيه من المشقة ما فيه

(٣) الدور المقطعي وتدل الصورة فيه على أول مقطع من اسمها وهو خطوة
كبرى في اختراع الكتابة فبين ان اللغة في الدور السابق لا يتم التعبير عن معانيها
الا بألوف من الصور يكفيها في هذا الدور بضع مئات فقط

(٤) الدور الهجائي وفيه تصبح تلك المقاطع حروفاً وهو آخر خطوة بلغت
اليها الكتابة حتى الآن فانك بوضع عشرات من هذه الحروف تعبر عن كل
إفراط اللغة مهما تعددت وتنوعت

(٢) تاريخ الاقلام التي استعملها الناس حتى الآن

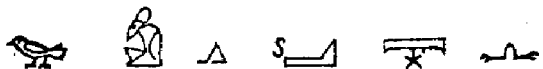
علمت مما تقدم الطريقة التي يمكن ان تدرج الكتابة فيها من أبسط أحوالها الى مثل ما هي عليه الآن فلنقدم الى تأييد ذلك بما وقع فعلاً من تاريخ الخطوط التي استخدمها البشر منذ أول عهدهم بالعمران حتى بلغت ما هي عليه اليوم والاقلام التي استخدمها الانسان من أول ازمائه الى الآن تعد بالآلاف ولكن معظمها مهمل ولسهولة البحث فيها نقسمها الى قسمين كبيرين هما (١) الاقلام الاصلية (٢) الاقلام الفرعية

﴿ الاقلام الاصلية ﴾ نريد بالاقلام الاصلية ما توصل اليه الانسان من تلقاء نفسه على الاسلوب الطبيعي كما رأيت في « الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة »

ومن هذا النوع الاقلام التي استخدمتها الامم المتقدمة قديماً وقد عرفنا منها أربعة وهي الهيروغليفية والاسفينية والحيثية والصينية فهذه الاقلام نشأ كل منها على حدة وتدرج من الدور الصوري الذاتي الى الدور المقطعي ولكنها وقفت بين الدورين الثاني والثالث أي انها في الغالب مزيج من الدور الصوري الرمزي والدور المقطعي

﴿ الاقلام الفرعية ﴾ وهي ما تفرع من الاقلام الاصلية وفيها كثير من الخطوط المستعملة والمهملة من قديم وحديث ولبيان ذلك نقول :

(١) ﴿ القلم الهيروغليفى ﴾ هو أهم الاقلام الاصلية ومنه تفرعت أكثر الخطوط المشهورة في العالم على ما يظن وقد وصل الينا وهو في حال الانتقال من الدور الصوري الرمزي الى الدور المقطعي أي ان بعض صورته تدل على معان ذاتية وبعضها على معان رمزية وبعضها يدل على مقاطع . فمثال الدلالة الذاتية دلالة صورة الشيء على لفظه وهو متشابه في كل الخطوط الاصلية . وأما الصور الرمزية فكل امة اصطلاح مخصوص . ومن أمثلة الصور الرمزية عند المصريين



فالصورة الاولى منها تدل على السلب

أو الضياع والنيمة صورة نجمة مملقة تدل على الظلام والثالثة ذراع مبسطة قابضة بكفها على عصا وتدل على القوة والرابعة ساقان مائتان للدلالة على الحركة والخامسة رجل يده في فيه للإشارة إلى أي عمل من أعمال الفهم كالتكلم والطعام والشراب والسادسة صورة طير صغير يرمزون به عن الشر . وأما الصور المقطعية عندهم فهناك مثلها مع نطقها وتفسيرها ونقرأ من اليسار إلى اليمين



سرهنا حر تو حس حر تو أن أن
شاروهن ل حاصرنا نحن لما

فبقى المصريون أزماناً متطاولة يكتبون بهذا القلم وتفرع منه قلمان استخدموهما معه وهما الهيراتي والديموطيقي فكانوا يستخدمون الأقلام الثلاثة معاً . على أن الهيروغليفي كان محصوراً في الكهنة والمظنون أنه ما زال مستخدماً إلى القرن الثالث للميلاد . أما الهيراتي فهو عبارة عن الصور الهيروغليفية وقد نشوت هياتها التماساً للجملة والديموطيقي أحدثها وهو أقرب إلى الحروف الهجائية . وما زالت هذه الأقلام شائعة بمصر حتى استبدلها الأقباط بالحروف اليونانية القديمة واستعاروا بعض الحروف الديموطيقية للدلالة على مقاطع قبطية لا مثال لها في اليونانية

قلنا إن القلم الهيروغليفي أصل أكثر الخطوط المشهورة والأرجح أن الفضل في نقل هذه الخطوط وتفريقها في العالم راجع إلى الفينيقيين سكان سواحل سوريا في أقدم أزمنة التاريخ فانهم عاصروا الفراعنة القدماء وهم أول من سلك البحار وجاب الأمصار للتجارة والاستعمار قبل الميلاد بقرون فاستخرجوا الحروف الهجائية من القلم الهيروغليفي ونقلوها إلى سائر أنحاء العالم فعملوها لليونان والكلدان واليهود وغيرهم قبل المسيح بقرون ومنها تفرعت الخطوط المستعملة في سائر أنحاء العالم المتمدن الآن

أما توصل الفينيقيين إلى تلك الحروف فكان بالاقباس والتحسين وليس

الى استخدام الكتابة وأخذوا بعض الصور الهيروغليفية او الهيروغليفية كما كانت تستعمل عند المصريين وتصرفوا في رسمها لسهولة استعمالها فاجتمع عندهم منها على حوالي الايام ٢٢ شكلاً استخدموا كلاً منها لمقطع أو حرف من حروف لغتهم وسموه باسم يدل على شكله . فكان رسم الثور  مثلاً عند المصريين مستعملاً للدلالة على الثور وهو في لغتهم (آوا) فرسم الفينيقيون شكلاً يشبه رأس الثور وجعلوه للدلالة على مقطع الالف وسموه « ألف » ومعناها في الفينيقية (ثور) . واتخذوا شكلاً مربعاً يشبه البيت  ويدل عند المصريين على البيت واسمه عندهم (با) فرسموا شكلاً يقاربه ودلوا به على مقطع الباء وسموه « بيت » أي بيت . واتخذوا رسماً آخر يشبه رأس الجمل  واستخدموه لحرف الجيم وسموه (جميل) أي جمل وهكذا في الشين المسننة فان في الهيروغليفية يقابلها هذه الصورة  وهي رسم أشجار مغروسة وقس عليه سائر الحروف . فكانوا يقبسون الحرف فيقنضونه ويسمونه باسم يدل على شكله حتى استوفوا كل المقاطع الموجودة في لغتهم وتكونت الابجدية الفينيقية واسماء حروفها تدل على اشكالها كما ترى في الجدول في الصفحة التالية

فالفينيقيون نقلوا هذه الابجدية الى بلاد اليونان نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهو القلم اليوناني القديم ونقلوها الى ما بين النهرين فعلموها الاشوريون وهو القلم الكلداني القديم او الآرامي وكان الاشوريون يكتبون بالقلم الاسفني فأهلوه واستخدموا الحرف الفينيقي لسهولة استعماله . ومن القلم اليوناني تفرعت الاقلام الرومانية والقوطية واليوناني الحديث والسلافي ومنها تولدت الاقلام التي تكتب بها لغات اوربا وأميركا وغيرها . وتفرع عن اليوناني أيضاً القلم القبطي كما تقدم واقلام أخرى اهمت وهي التريجاني والليسياني والاتروسكاني والكارباني . ومن القلم الآرامي تولدت كل الخطوط الشرقية وفي جملتها العبراني المربع والسطرنجيلي والنبطي والهندي ومن السطرنجيلي تفرع السرياني والكوفي

الحروف العربية	الحروف الصينية	الحروف اليونانية القديمة	الحروف السامرية	اسماءها بالفينيقية	معانيها	اسماءها بالعربية	اسماءها باليونانية
ا	✕	Δ	𐤀	الف	نور	الف	ألفا
ب	𐤁	𐤁	𐤁	بيت	بيت	باء	بيتا
ج	𐤂	𐤂	𐤂	جبل	جبل	جيم	جلا
د	𐤃	𐤃	𐤃	دالك	باب	دال	دلثا
هـ	𐤄	𐤄	𐤄	هـ	؟	هاء	اي
و	𐤅	𐤅	𐤅	واو	دبوس	واو	أو
ز	𐤆	𐤆	𐤆	زين	سلاح	زاي	؟
ح	𐤇	𐤇	𐤇	حيث	حيط	حاء	ايطا
ط	𐤈	𐤈	𐤈	طيط	حية	طاء	ثيطا
ي	𐤉	𐤉	𐤉	يود	يد	ياء	يوطا
ك	𐤊	𐤊	𐤊	كاف	كف	كاف	كبأ
ل	𐤋	𐤋	𐤋	لامد	ماس	لام	لامدا
م	𐤌	𐤌	𐤌	ميم	مياه	ميم	مي
ن	𐤍	𐤍	𐤍	نون	سك	نون	ني
س	𐤎	𐤎	𐤎	سامك	دعامة	سين	سغما
ع	𐤏	𐤏	𐤏	عين	عين	عين	؟
ف	𐤐	𐤐	𐤐	فا	فم	فاء	في
ص	𐤑	𐤑	𐤑	صادي	سناره	صاد	زيتا
ق	𐤒	𐤒	𐤒	قوف	اذن	قاف	—
ر	𐤓	𐤓	𐤓	ریش	راس	راء	رو
ش	𐤔	𐤔	𐤔	شين	سن	شين	--
ت	𐤕	𐤕	𐤕	تاو	علامة	تاء	تاو

ومن النبطي تفرّع الخط العربي النسخي الذي نكتب به نحن الآن ومن الهندي تفرّعت خطوط الهند . وتفرّع من الفينيقي رأساً أيضاً الحرف العبراني القديم واقبرسي والقرطاجني وتفرّع من العبراني القديم الحرف السامري وكلها مهمة . وفي الجدول بالصفحة المقابلة صور الحروف الفينيقية واليونانية القديمة والسامرية وبازائها مايقابلها من الحروف العربية وترى المشابهة بين الفينيقي واليوناني القديم واضحة وكذلك بين هذا وسائر فروعه . اما الآرامي وهو أصل الخطوط الشرقية فقد كان في أوّل أمره نفس الحرف الفينيقي ثم أخذ يتنوّع و يعتمد عنه وأول مالاحظوه فيه من التفرّع انفراج أعلى الحروف ذات الزوايا وانحلال الزوايا والتفاف الحروف على نفسها وهالك مثلاً يدل على ذلك

1440 49 1504 5 47 22 45 24

میثیا زی قرب معنی بر عمن

מלך ישראל וכל ישראל

اصم اما الحى نفسه

أي « العرش الذي قدمه معنان بن عمران للاله صلم لاجل حياة نفسه »
فان رؤس الباء والعين والراء قد انفرجت حتى صارت ماثلة الى التريم على ان
الشكل الفينيقي لا يزل ظاهراً فيها

ثم انتشر الخط الآرامي في جهات اسيا وأخذ يتنوع عند كل أمة باختلاف
أحوالها فتولدت منه الفروع المتقدم ذكرها وبه منّا منها الحرف النبطي لانه أصل
الخط العربي النسخي . وقد دعوه نبطياً لانه كان مستعملاً عند النبطيين أو
الانباط في مدن بصرى (أسكي شام) وجبرون وصيد (سرحد) في حوران
وغيرها وقد عثروا على شيء من هذه الكتابة في تلك الجهات فوجدوا انها على
نوعين مختلفين أحدهما اقرب الى الكتابة الآرامية وهي الاقدم وهاك مثاله نقلاً

عن آثار بعض جهات حوران بقرب السويدية

נח עבד עידו בן כילו

نفسه دي حمرت دي بنه له ادينه بعله

أي « تمثال حمرت الذي بناه له سيده ادينه »

والآخر أقرب الى الخط العربي المعروف وقد عثر الباحثون على كتابة من هذا النوع منقوشة على حجر وقد تلاحت حروفها نوعاً وذلك أول اتصال الحروف العربية بعضها ببعض وهالك مثالها

נח עבד עידו בן כילו

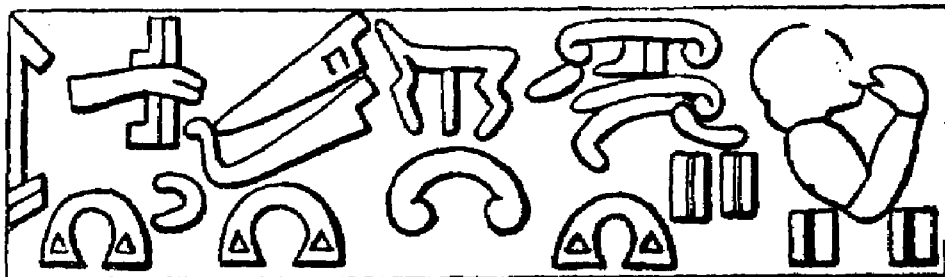
دنج قبراً دي عبد عيدو بن كيلو بن

أي « هذا هو القبر الذي صنعه عيدو بن كيلو بن . . الخ »

والكتابة المشار اليها تشير الى القبر الذي اصطنعه عيدو بن كيلو بن القصي لنفسه وأولاده وذريته وقد استنتجوا من نص الحكاية انها كتبت ما بين السنة التاسعة ق م والخامسة والسبعين بعده

(٢) (القلم الحثي) الحثيون أمة قديمة عمرت سوريا واسيا الصغرى في

أوائل التمدن القديم فعاشرت الفراعنة القدماء وحاربتهم وحاربت الاشوريين وغيرهم وقد بادت وانقطعت أخبارها قبل الميلاد بأجيال . ولكن علماء الآثار عثروا في القرن الماضي على كتابة منقوشة على أحجار عليها كتابة سورية كالكتابة الهيروغليفية وقد تمكنوا من حل بعضها فوجدوا انها كتابة أصلية مستقلة عن القلم الهيروغليفي وهالك صورة بعض ما وجدوه على حجر في حارة الدهان بجدة (سوريا)



فير يدون بصورة اليد في الفم الدلالة على انتكام . والمربان تحتها يدلان على مقطع (ما) والشكل الذي يشبه نعال الفرس ومنه ثلاثة أشكال من اسفل يدل على مقطع (إس) ويراد به الدلالة على الفاعلية وقس على ذلك باقي الدلالات مما لم يفتوا على تمام حله بعد . والظاهر ان القلم الحثي قلما ولد أولاداً أو اعله ولد أولاداً نسوه لان الخطين الحثيري والحبشي في اعتبارنا متخالفان عن الحثي لمساواة بينهما وبينه وخصوصاً ان العلماء كانوا في ريب من أمر هذين الخطين فلم يمتروا لها على أصل يرجعان اليه فالقلم الحثي أقرب سائر الخطوط اليهما على ما نرى وهالك صورة الخط الحثيري

ض	日	ا	ح ح
ط	田	ب	П П П П П
ظ	𐀀 𐀁 𐀂	ن	П П П П
ع	。	ث	Х Х
غ	𐀃 𐀄 𐀅 𐀆 𐀇	ج	8 8
ف	。 。	ح	Г Г
ق	4	خ	Ψ Ψ
ك	𐀈 𐀉 𐀊 𐀋	د	У У У У У
ل	1 2 3 4	ذ	Н 4 П Н
م	𐀌 𐀍 𐀎 𐀏 𐀐	ر	Н Н Н Н Н
ن	5 6 7	ز	> <) (>
و	• • •	س	2 2 > <
هـ	У У У	ش	Х Х Х
ي	9	س	𐀈 𐀉 𐀊 𐀋
			𐀌 𐀍 𐀎 𐀏
			𐀐 𐀑 𐀒 𐀓
			𐀔 𐀕 𐀖 𐀗
			𐀘 𐀙 𐀚 𐀛
			𐀜 𐀝 𐀞 𐀟
			𐀠 𐀡 𐀢 𐀣
			𐀤 𐀥 𐀦 𐀧
			𐀨 𐀩 𐀪 𐀫
			𐀬 𐀭 𐀮 𐀯
			𐀰 𐀱 𐀲 𐀳
			𐀴 𐀵 𐀶 𐀷
			𐀸 𐀹 𐀺 𐀻
			𐀼 𐀽 𐀾 𐀿
			𐁀 𐁁 𐁂

وهالك مثلاً للخط الحبشي :

እግዚአብሔር፡ እንደሁ፡ ዓለሙን፡ ወደዋል፤

فترى بينه وبين الحميري مشابهة كلية الا ان الحبشي يكتب من اليسار الى

اليمن . فالحرف الاول من اليسار (الف) وهي كثيرة الشبه بالالف الحيرية
والحرف الثاني (جيم) والثالث (زاي) وهو كالذال الحيرية تماماً وقس عليه
(٣) ﴿ القلم الاسفيني ﴾ وهو القلم الذي كان الاشوريون والبابليون
يستخدمونه قبل وصول الحروف الفينيقية اليهم وتسمى كتابتهم بالاسفينية أو
المسمارية لمشابتها بالمسامير او الاسافين وهي من قبيل الدور الصوري الرمزي مع
شيء من المقطعي ومن أمثلها قولهم (كالو)  ومعناها (احرق) ومعظم
اطلال بابل واشور في العراق تغشاها هذه الكتابة نقشاً على حجارة طينية كانوا
يطبعون الاحرف بأدوات تشبه الاسافين او المسامير على الطين النيء ثم يتركونه
ليجف بخلاف المصريين القدماء فانهم كانوا ينقشون كتابتهم على الحجر . وقد
يتبادر الى الذهن لأول وهلة ان هذه الكتابة ليست من الصورية في شيء
ولكن بالتأمل يتضح انها متخلقة عن كتابة صورية سابقة لها لاننا بالرجوع الى
اقدم أنواعها نراها أقرب من الاشكال والرسوم . ولا نعرف قلماً تفرع
عن الاسفيني

(٤) (القلم الصيني) والكتابة الصينية قديمة وأشكالها تدل على الفاظ كاملة كأقدم أنواع الكتابه ولذلك فإن أشكالها تعد بالآلاف والالوف ولكن لا يظهر عليها اى صورىة على اننا لو تأملنا لرأينا متخلفة عن أصول صورىة تغيرت بمرور الاعوام فترى فى هذا الرسم 因 基 子 凡 ٥ أمثلة من الكتابة الصينية ولدى التأمل يظهر لك انها تشبه رسوماً حقيقية . وللغات الصينية أنواع كثيرة من الحروف ترجع كلها الى أصل واحد صورى فقد بتوالي الاجيال وحكمتنا على اللغات الصينيه مسند بالاكثير الى قياس التمثيل

وفى الصفحة التالية جدول يبيناً فيه تفرع الاقلام القديمة والحديثة من اصولها

(انظر الجدول فى الصفحة المقابلة)

✽ جدول تفرع الاقلام الفرعية عن الاقلام الأصلية ✽

الروماني	وبه تكتب معظم لغات أوروبا وأميركا
الغوطي	» » لغات جرمانيا
اليوناني الحديث	» » بلاد اليونان
القبطي	» » اللغة القبطية
السلافي	» » لغات روسيا
الفريجياني	(مهمل)
الليسياني	»
الأتروسكاني	»
الكارثاني	»

باليوناني القديم

الهندي	على انواعه
العبراني المربع	وتكتب به اللغة العبرانية
السطرنجيلي	{ السرياني الكوفي }
النبطي	ومنه العربي النسخي المشهور
التدمري	(مهمل)

الحرف الفينيقي

الهيروغليف المصري

الارامي

العبراني القديم	ومنه السامري (وكلاهما مهمل)
القبرسي	(مهمل)
القرطجني	»

الحجري	{
الحبشي وتكتب به لغة الحبش	}

الحثي

الاسفني

الاشوري

الاقلام الصينية واليابانية

الصيني

العدّ والأرقام

كيف تعلم الانسان العدّ واختراع الارقام

(استنباط العدّ) العدّ بالأرقام قديم جدّاً وقد احتاج الانسان الى العدّ قبل احتياجه الى التكلم ففضى اجيالاً عديدة قبل ان تولدت اللغة وهو يعدّ بالإشارات . وأساس العدد عنده الاصابع ولا يزال أثر ذلك باقياً الى اليوم . فان الخرس حتى في أعرق الامم في المدنية يعدّون على أصابعهم . وفي لغات الامم المتوحشة الفاظٌ تؤيد هذا القول فان أهل الزولوس اذا أرادوا التعبير عن الستة قالوا « تاتيسيتوبا » وتفسيرها في لسانهم « أخذ الابهام » ومعنى ذلك ان الحاسب عدّ أصابع احدى يديه وضم اليها الابهام من اليد الاخرى ولهذا السبب أصبح لفظ اليد والقدم والانسان أعداداً في كثير من اللغات . فان بعض قبائل الهنود على ضفاف نهر اورينوكو بأميركا الجنوبية يعبرون عن الخمسة بقولهم « اليد كلها » وعن الستة بقولهم « واحد من اليد الاخرى » وهكذا الى العشرة فيقولون « اليدين » ويعبرون عن الاحد عشر بقولهم « واحد الى القدم » ثم « اثنان الى القدم » وهكذا الى الخمسة عشر فيقولون « كل القدم » ثم « واحد الى القدم الاخرى » ويتدرجون على هذه الكيفية الى العشرين فيقولون « انسان » ثم يقولون « واحد الى ايدي الرجل الآخر » أي واحد وعشرون . ولا يزالون على نحو ما تقدم الى الاربعين فيقولون « رجّلان »

فاذا علمت ذلك هان عليك تحليل السبب في اتخاذ العشرة أساساً للعدّ لانها مجموع أصابع اليدين . والظاهر ان اجدادنا جعلوا قاعدة العدد أولاً الخمسة لانها أصابع يد واحدة ثم جعلوها العشرة لسبب لانهما . فان زواج السنيغال في غربي افريقيا لا يزال أساس العدد عندهم الخمسة فاذا عدوا الى الخمسة وأرادوا ما بعدها قالوا « خمسة واحد . خمسة اثنين . خمسة ثلاثة . الخ » كما نقول نحن « احد

عشر . اثنا عشر . ثلاثة عشر . الخ » ولا يزال اثر هذا النمط من العدد محفوظاً في الارقام الرومانية التي كان الرومانيون يستخدمونها قبل استخدام الارقام الهندية كما سيأتي

على ان بعض الامم يحملون أساس العدد العشرين . ومن هذا القبيل تعبير الانكليز عن الثمانين بقولهم Fourscore أي اربعة عشرينات . وقول الفرنسيين لهذا المعنى Quatre-vingt . فيقول الانكليز Fourscore and three والفرنساويون يقولون Quatre-vingt trois أي ثلاثة وثمانون . ويدل ذلك على ان بعض قبائل الجرمان القدماء كانوا يعدّون بالعشرين وهي مجموع أصابع اليدين والرجلين . على ان الجمهور يعدون بالعشرات وعليها وضعت الارقام (الارقام) أما وضع العلامات للدلالة على الاعداد فانه طبيعيٌ وقد تدرج الى ما نسميه بالارقام . وبديهيٌ ان الانسان لما أراد في أول الكتابة ان يدوّن الاعداد عبر عن الواحد بخط او نقطة او عقدة او فرض في عودٍ فاذا أراد الاثنين ضاعفها كما يفعل بعض هنود اميركا الى اليوم وهكذا كانت تفعل الامم التي تمكنت قديماً وربما ظل الانسان أجيالاً لا يعدّ بغير هذه العلامات ولو تجاوز العشرة أو المئة . ثم رأى في ذلك مشقة وتشويشاً لانه اذا أراد التعبير عن المئة مثلاً رسم مئة خط أو نقطة أو عقدة بالحيط مئة عقدة أو فرض في العود مئة فرضة . فدانه الحاجة الى اختراع كفاه مؤونة هذه المشقة . فوضع علامة للخمسة وأخرى للعشرة ومثلها للخمسين والمئة والالف . فاذا أراد التعبير عن خمسة عشر مثلاً رسم العشرة والخمسة بجانبها او الثلاثين رسم ثلاث عشرات او ٣٥ رسم ثلاث عشرات وخمسة . على ان بعض الامم خالفت البعض الآخر في ذلك فلم تضع علامة للخمسة ولا للخمسين بل دلوا على الاولى بخمسة آحاد وعلى الثانية بخمس عشرات — كذلك فعلت الامم التي تمكنت قديماً في مصر وفينيقية وتدمر كما يؤخذ من آثارهم الباقية

الهيروغليفي الهيراتي الفينيقي التدمري السرياني

١	١	١	١	١	١
٢	٢	٢	٢	٢	٢
٣	٣	٣	٣	٣	٣
٤	٤	٤	٤	٤	٤
٥	٥	٥	٥	٥	٥
٦	٦	٦	٦	٦	٦
٧	٧	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٨	٨	٨	٨
٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
١١	١١	١١	١١	١١	١١
١٢	١٢	١٢	١٢	١٢	١٢
١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣
١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤
١٥	١٥	١٥	١٥	١٥	١٥
١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦
١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
١٨	١٨	١٨	١٨	١٨	١٨
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩
٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
٢١	٢١	٢١	٢١	٢١	٢١
٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٢٣	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣
٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤
٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦
٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩
٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
٣١	٣١	٣١	٣١	٣١	٣١
٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣٨	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
٣٩	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
٤١	٤١	٤١	٤١	٤١	٤١
٤٢	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢
٤٣	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣
٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤
٤٥	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥
٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
٤٧	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧
٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
٤٩	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩
٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
٥١	٥١	٥١	٥١	٥١	٥١
٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
٥٣	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣
٥٤	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤
٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥
٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
٥٨	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨
٥٩	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩
٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
٦١	٦١	٦١	٦١	٦١	٦١
٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
٦٣	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣
٦٤	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤
٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
٦٦	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦
٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨
٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩
٧٠	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
٧١	٧١	٧١	٧١	٧١	٧١
٧٢	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢
٧٣	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣
٧٤	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤
٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
٧٦	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦
٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
٧٨	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨
٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩
٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠
٨١	٨١	٨١	٨١	٨١	٨١
٨٢	٨٢	٨٢	٨٢	٨٢	٨٢
٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣
٨٤	٨٤	٨٤	٨٤	٨٤	٨٤
٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥
٨٦	٨٦	٨٦	٨٦	٨٦	٨٦
٨٧	٨٧	٨٧	٨٧	٨٧	٨٧
٨٨	٨٨	٨٨	٨٨	٨٨	٨٨
٨٩	٨٩	٨٩	٨٩	٨٩	٨٩
٩٠	٩٠	٩٠	٩٠	٩٠	٩٠
٩١	٩١	٩١	٩١	٩١	٩١
٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢
٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤
٩٥	٩٥	٩٥	٩٥	٩٥	٩٥
٩٦	٩٦	٩٦	٩٦	٩٦	٩٦
٩٧	٩٧	٩٧	٩٧	٩٧	٩٧
٩٨	٩٨	٩٨	٩٨	٩٨	٩٨
٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
١٠١	١٠١	١٠١	١٠١	١٠١	١٠١
١٠٢	١٠٢	١٠٢	١٠٢	١٠٢	١٠٢
١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣
١٠٤	١٠٤	١٠٤	١٠٤	١٠٤	١٠٤
١٠٥	١٠٥	١٠٥	١٠٥	١٠٥	١٠٥
١٠٦	١٠٦	١٠٦	١٠٦	١٠٦	١٠٦
١٠٧	١٠٧	١٠٧	١٠٧	١٠٧	١٠٧
١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨
١٠٩	١٠٩	١٠٩	١٠٩	١٠٩	١٠٩
١١٠	١١٠	١١٠	١١٠	١١٠	١١٠

(ش ١) الأرقام القديمة

وترى في الشكل الاول صور الارقام عند المصريين القدماء وبجانبيها الارقام الهيراتية المتخلفة عنها ثم الارقام الفينيقية وتليها التدمرية ثم السريانية القديمة وقد تدرجت فيها تدريجاً

فترى الارقام الهيروغليفية ابسطها كلها لانها قاصرة على مضاعفة الواحد والعشرة والمئة تليها الارقام الفينيقية وفيها علامة خاصة بالعشرين ثم التدمرية وفيها علامة للخمسة وأخرى للعشرين . ثم السريانية القديمة وفيها علامة للاثنتين وأخرى للخمسة ومثلها للعشرين فضلاً عن علامات للواحد والعشرة والمئة . فالسريانية خطت الخطوة الاولى نحو الارقام الهندية باتخاذ علامة خصوصية للاثنتين . ولا يدل

ذلك على ان الهندية مشتقة منها او مرتقية عنها اذ يتفق ان يقع ذلك على سبيل التوارد

وظل الانسان قروناً عديدة بعد ان تمدّن وهو يحسب ويعدّ قبل اختراع الارقام الخصوصية للأحاد اي ٠٩٨٧٦٥٤٣٢١ . المبر عنها بالارقام الهندية . وبعد استنباط الاحرف الهجائية استعاضوا عن تلك العلامات بأحرف مقطعة من أوائل الالفاظ الدالة على تلك الاعداد . فليونانيون القدماء دلّوا على الواحد بهذه العلامة (I) وهي خط بسيط يشير الى الوحدة من طبيعته . ودلّوا على الخمسة بالباء (Π) وهي مقطعة من (Πεντε) (خمسة) وعلى العشرة بالذلتا (Δ) وهي مقطعة من (Δεκα) عشرة وعلى المئة بهذا الحرف H وهو غير متقطع من اسم المئة عندهم ولعل لاستخدامه سبباً آخر . ودلّوا على الالف بأوّل حرف من لفظ الالف عندهم وهو X من Χίλις (الف) والمظنون ان اليونانيين استخدموا هذه الاعداد من أيام صولون ولكنهم ينسبونها الى هيروديان الغراماطيقي الذي وصفها في آخر القرن الثاني لليلاد

واقترع الرومانيون باليونان في استخدام الاحرف بدل الارقام على نحو ما تقدم وان كانت لا ترد كلها الى الفاظ تدل على قيمتها . فالارقام الرومانية هي I (١) و V (٥) و X (١٠) و L (خمسين) و C (١٠٠) و D (٥٠٠) و M (١٠٠٠) وهي لا تزال شائعة عند أمم أوروبا الى اليوم يستخدمونها في بعض الاحوال

ويقال نحو ذلك في استخدام الابجدية في اللغات السامية بدلاً من الارقام . وكان الاصل في استخدامها ان يدلّوا بالحرف على موضعه من الابجدية باعتبار عدد ما قبله . فالاحرف العبرانية مثلاً ٢٢ حرفاً فكان الحرف الأخير (التاء) يقوم مقام ٢٢ ثم تفتنوا بجعل الاحرف التسعة الاولى تنوب عن الأحاد التسعة والحرف العاشر وما بعده تدلّ على العقود . ومن الحرف التاسع عشر الى ٢٢ على المئات

فكان أكبر عدد يعبرون عنه بها ٤٠٠ وهو التاء . وأما العرب فعندهم ستة أحرف زائدة فصارت الابدادية ٢٨ حرفاً آخرها قيمته العددية الف وهاك الابدادية العربية وقيمة كل منها وهو ما يعبرون عنه بحساب الجمل على هذه الصورة :

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠
ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت
٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠
ث	خ	ذ	ض	ظ	غ					
٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠					

(الارقام الهندية) هي الارقام الشائعة في العالم التمدن الآن ويسمونها الافرنج الارقام العربية . والسبب في ذلك ان هذه الحروف استنبطها الهنود في زمن لا نعرفه والصفة المميزة لها « الصفر » وتخصيص كل عدد من الآحاد بعلامة خاصة الى التسعة وتحويل هذه الآحاد الى العشرات باضافة صفر الى جانبها والى المئات باضافة صفرين والى الالوف بثلاثة اصفار الى ما لانهاية له . وهي مبنية على مبدأ اقتصادي لانها قاصرة على عشر علامات يعبر بها عن أي مبلغ يمكن ان يتصوره العقل مما لا يتأتى بالابدادية ولا بغيرها

والظاهر ان العرب أخذوا هذه الارقام عن الهنود في جملة ما أخذوه عنهم من العلوم الرياضية كاللتنجيم والهيئة ونحوها في أواسط القرن الثاني للهجرة . ويظن بعض المحققين انها نقلت مع زيج حملة بعض أهل الهند الى بغداد سنة ٧٧٣ م . وأول من شرحها من المسلمين ابو جعفر محمد الخوارزمي في القرن التاسع الميلاد ثم شاعت بين المسلمين في دواوينهم ومؤلفاتهم حتى اذا احتك بهم الافرنج في القرن الثاني عشر باسبانيا واخذوا عنهم الحساب من كتاب ينسب الى الخوارزمي المذكور فسموه باسمه . ويظن رينو المستشرق الفرنسي الشهير ان لفظ

Algorism الافرنجية منحوتة من الخوارزمي ^(١) وهي أثر لفضل العرب على الافرنج في الحساب وكذلك Zero الافرنجية فانها منحوتة من « صفر » العربية . وشاعت الارقام الهندية في أوروبا وسماها الافرنج أرقاباً عربية لانهم اخذوها عن العرب

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠
الارقام الناناغانية	-	=	≡	¥		∂	7		2	
ارقام الاحافير الهندية	-	=	≡	4	5	6	7	8	9	0
الارقام الدفناجيرية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	0
« العربية الشرقية »	1	2	3	4	5	6	7	8	9	0
« الفوبارية والعربية المغربية »	1	2	3	4	5	6	7	8	9	0
ارقام بونوس	1	2	3	4	5	6	7	8	9	0

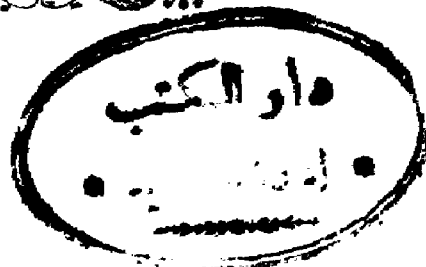
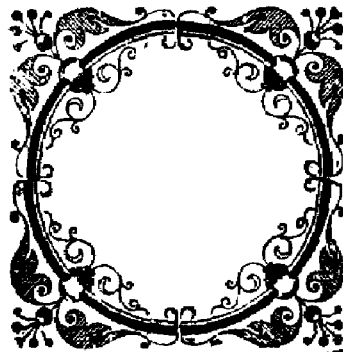
(ش ٢) الارقام الهندية

وفي الشكل الثاني أمثلة من الارقام الهندية القديمة وكيف تدرجت حتى وصلت الى ما كانت عليه حينما أخذها العرب وكيف تنوعت عندهم . وهي في كل حال تختلف عن الارقام الشائعة اليوم عندنا وعند الافرنج ولكن يظهر للمتأمل مع ذلك انها من أصل واحد

فالارقام الناناغانية (ش ٢) كانت مستخدمة عند الهنود في القرن الثاني قبل الميلاد وتشبهها ارقام الاحافير الهندية وكلاهما قريب من الارقام القديمة البسيطة . اما الارقام الدفناجيرية فانها تمتاز عن السابقتين بوجود الصفر فضلاً عن اتمام تولد الارقام التسعة الاخرى . وأقدم ما عثروا عليه من هذه الارقام مكتوب في نحو القرن الثامن الميلادي . وبلي ذلك الارقام العربية القديمة ويسمونها الشرقية وهي منقولة عن أصل مكتوب في القرن العاشر الميلادي في شيراز وتختلف عن أرقام هذه الايام ولكنها كثيرة الشبه بها . وكانت تختلف عن الارقام التي كان يستخدمها العرب في الاندلس وغيرها من بلاد المغرب كما ترى في الارقام

الغوبارية (ش ٢) وهي التي كانت تستعمل في بلاد المغرب وأخذها الافرنج في القرن الثاني عشر والشبه بينها وبين الارقام الافرنجية الشائعة اليوم ظاهرٌ
 اما بوتيوس فهو من فلاسفة الرومانيين في القرن الخامس للميلاد وينسبون اليه الارقام المرسومة في السطر الاخير (ش ٢) . وكان الافرنج يستخدمونها في اوربا حوالي القرن الخامس للميلاد ثم ضاعت قبل الفتح الاسلامي ولذلك زعم بعض الافرنج ان الارقام الهندية (او العربية) التي ظهرت في القرن الثاني عشر في اوربا ليست مما نقله العرب اليهم وانما هي عبارة عن احياء أرقام بوتيوس - قالوا ولعل المسلمين في المغرب اقتبسوا هذه الارقام عن الافرنج ثم عاد الافرنج فأخذوها عنهم - على ان مزاعمهم في هذا الشأن لاتزال ضعيفة ولا يزال جمهور مؤرخيهم مجمعين على ان الارقام الشائعة في اوربا الآن منقولة عن العرب وهؤلاء نقلوها عن الهنود

(تم الكتاب)



من مؤلفات جرجي افندي زيدان مؤلف هذا الكتاب

- (١) * فتاة غسان * (طبعة ثانية) هي الحلقة الاولى من روايات تاريخ الاسلام تشرح حال العرب في آخر جاهليتهم واول اسلامهم مع ذكر عوائدهم واخلاقهم الى فتوح الشام والعراق وهي جزآن ثمن كل جزء عشرة قروش والوسطة قرش ونصف
- (٢) * ارمانوسة المصرية * (طبعة ثانية) هي الحلقة الثانية من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تاريخ غرامية تشرح حال مصر لما فتحها المسلمون سنة ١٨ الهجيرة مع عوائد أهلها واخلاقهم وازيائهم . ثمنها عشرة قروش واجرة الوسطة قرشان
- (٣) * عذراء قريش * هي الحلقة الثالثة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وهي تاريخ غرامية تتضمن مقتل الخليفة عثمان ووفائع الجمل وصنين والتحكيم والخوارج الى مقتل محمد بن ابي بكر ثمنها عشرة قروش واجرة الوسطة قرشان
- (٤) * ١٧ رمضان * او الحلقة الرابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وهي تاريخ غرامية تتضمن مقتل الامام علي وتفصيل امر الخوارج وخروج الخلافة الى بني امية ثمنها عشرة قروش واجرة الوسطة ستون بارة
- (٥) * غادة كربلاء * تاريخ غرامية . وهي الحلقة الخامسة من الروايات التاريخية الاسلامية . تشرح حال الاسلام على عهد يزيد بن معاوية وما كان من مقتل الامام الحسين وما عتب ذلك من الحروب والفتن ثمنها عشرة قروش واجرة الوسطة قرشان
- (٦) * الحجاج بن يوسف * هي الحلقة السادسة من هذه الروايات وهي تاريخ غرامية تتضمن حصار مكة على عهد عبدالله بن الزبير الى فتحها ومقتل ابن الزبير وخلص الخلافة لعبد الملك بن مروان ثمنها عشرة قروش واجرة البريد قرش ونصف
- (٧) * فتح الاندلس * هي الحلقة السابعة من روايات تاريخ الاسلام تتضمن وصف حال الاندلس (اسبانيا) السياسية والاجتماعية والدينية لما فتحها المسلمون وكيف فتحوها . ثمن النسخة عشرة قروش واجرة الوسطة قرش ونصف
- (٨) * المملوك الشارد * (طبعة ثانية) رواية تاريخية ادبية تتضمن حوادث مصر وسوريا في أوائل القرن التاسع عشر على عهد المغنورة محمد علي باشا والامير بشير الشهابي ثمنها ثمانية قروش واجرة الوسطة قرش ونصف
- (٩) * اسير المهدي * (طبعة ثانية) رواية تاريخية غرامية تتضمن حوادث عراقي والمهدي من ظهور عراقي الى الثورة العربية ودخول الانكليز مصر وظهور المهدي وواقعة مكس الى سقوط الخرطوم وحادثة سنة ١٨٦٠ في دمشق . ثمنها ١٠ صاغ واجرة البريد ٢

- (١٠) * استبصار الماليك * (طبعة ثانية) رواية تاريخية ادبية تتضمن حوادث آخر القرن الثامن عشر وفيها ما كان يرتكبه الماليك من الظلم والجور في حكمهم بمصر وعاداتهم وأخلاقهم ثمنها ثمانية قروش واجرة البوسطة قرش ونصف
- (١١) * جهاد المحبين * رواية ادبية غرامية تمثل عواطف المحبين وما يلاقونه من الملقنة في سبيل الحب ثمنها ٦ قروش صاغ واجرة البوسطة قرش ونصف
- (١٢) * تاريخ مصر الحديث * من النتج الاسلامي الى هذه الايام مع ملخص تاريخها القديم وهو جزآن كبيران فيه مائة رسم واربع خارطات ثمنه اربعون قرشاً صاغاً واجرة البوسطة ٥ قروش
- (١٣) * تاريخ الماسونية العام * وهو تاريخ الجمعية الماسونية منذ نشأتها الى هذه الايام ثمنه عشرون قرشاً صاغاً واجرة البوسطة قرشان
- (١٤) * التاريخ العام * الجزء الاول يتضمن تاريخ ممالك اسبانيا وفرنسها وخصوصاً مصر مزين بالرسوم ثمنه ثمانية قروش صاغ واجرة البوسطة قرش واحد
- (١٥) * علم القراصة الحديث * يبحث في استطلاع اخلاق الناس من النظر الى ملامح وجوههم وتركيب اعضائهم . وهو مؤسس على الاكتشافات العلمية الحديثة ومبني على العلم الطبيعي ويتعلل بالنوايس الطبيعية في التفسير والنسبولوجيا . وفي الكتاب ٢٧٠ رسماً جميلاً لتوضيح نوايس القراصة بها وثمن الصفحة ١٥ قرشاً واجرة البوسطة قرشان
- (١٦) * الفلسفة اللغوية * الطبعة الثانية . فيها بحث تحليلي للالفاظ العربية حتى نسق لم يسبق اليه . ثمنها عشرة قروش واجرة البوسطة قرش واحد
- (١٧) * جغرافية مصر * (طبعة ثانية) تتضمن جغرافية المدبريات والمحافظة وخصوصاً القاهرة ثمنها وحدها ثلاثة قروش ومع الخارطة ٥
- (٢٠) * تاريخ القمدين الالامي * الجزء الاول . يبحث في أحوال العرب قبل الاسلام وكيف نشأت الدولة الاسلامية مع وصف جندها وما لها وصالحها الخ وفي هذا الجزء ٣٢ رسماً و١٥ قرشاً واجرة البوسطة قرش ونصف
- (٢١) * تراجم مشاهير الشرق * الجزء الاول وفيه تراجم امراء العائنة الخديوية ومن نبع من الملوك والامراء والقواد ورجال الادارة السياسية في القرن التاسع عشر . صفحات هذا الجزء ٢٦٤ صفحة وفيه ٧٢ رسماً والجزء الثاني فيه تراجم العلماء ورجال الادب والشعر عدد صفحاته ٢٤٥ وفيه ٢٩ صورة وثمان كل جزء ١٥ قرشاً واجرة البوسطة قرشان

وتطلب هذه الكتب من مكتبة الهلال او ادارة الهلال بالفجالة بمصر